
تجربة الحركة الوطنية المغربية مع القصر :

وقائع وأحداث تاريخية

بقلم الاخ محمد البصرى

في سنة ١٩٧٤ ، ومع ركوب النظام المغربي موجة " التحرير " فيما يخص الصحراء المغربية ، قام الاخ محمد البصرى بتحرير مذكرة بصدد المرحلة التاريخية التي تلت الاستقلال الشكلي ، والتي تسلط الاضواء على تصرفات النظام المغربي في هذه المرحلة بالذات ، التي ستكون لها انعكاسات بالغة الاهمية على المسار الذي عرفته الاحداث منذ ذلك الحين .

ونظرا للاهمية التاريخية للمذكرة ، وما تضمنته من وقائع بقيت طي الكتمان ، ننشر نصها بالكامل ، عسى أن نكون بهذا قد ساهمنا في التعريف بمرحلة لم يعايشها أغلب الشباب المغربي ، آملين في نفس الوقت أن تكون هذه البادرة مجرد بداية ، وأن يساهم كل المناضلين المخلصين الذين عاشوا تلك المرحلة في تزويد المناضلين والرأى العام ، بالمعطيات والشهادات الكفيلة بتوضيح الرؤيا واستخلاص العبر ، وبالتالي تقديم الفكر الثوري ببلادنا .

• • •

أمام ممارسات النظام المغربي والشعارات الممسوخة التي يلقي بها في الساحة ابتداءً من "المغرب الجديد" و"مسلسل التحرير والديموقراطية" ، وانتهاءً بـ"التعاش والتساكن" .

وأمام انسياق بعض قيادات الاحزاب وراء هذه الشعارات ، بل وتبريرها وتزكيتهما لدى المناضلين ، محاولة اظهار النظام بما هو ليس عليه .

أمام كل هذا ، ارى لزما على نفسي أن اضع أمام المناضلين ، وخاصة الشباب منهم هذه الوقائع التاريخية التي يحاول البعض تناسيها وتجاهلها في تحليلاته . لقد حرصت أن اسجلها بعيدا عن الذاتية وبكل موضوعية ، دون القصد من ذكر الاسماء ومواقف بعض الاخوان الاساءة الى كرامتهم والمس بعواطفهم ، واكتفيت في أغلب الاحيان بسرد الوقائع وجردما دون نقدها واستخلاص العبر منها ، تاركا لكل المناضلين مهمة اخضاعها للمحك والنقد لاستخلاص النتائج ، بعد دراسة سلبيات مواقفنا السابقة حيث كنا نلتجئ باستمرار للقبول بانصاف الحلول .

مؤتمر مدريد

لا بد من الرجوع عند تناولنا لقضية الصحراء وجيش التحرير الى المرحلة التي سبقت اعلان الاستقلال سنة ١٩٥٥، وبالذات الى المؤتمر الذي انعقد بمدريد على اثر قرار الاستعمار الفرنسي القاضي باستبدال الاستعمار القديم باستعمار جديد، وتقسيم الكفاح المسلح الذي كان قد تجاوز مرحلة التنسيق بين جيش التحرير في كل من المغرب والجزائر على الخصوص، الى مرحلة التطبيق العملي الموحد الذي رسمت خطوته في بيان صدر عن حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من جهة، وجيش التحرير الجزائري من جهة اخرى. وقد نص هذا البيان على عدم توقف النضال الا باستقلال المغرب العربي كله. وبدأت ترجمة البيان بعمليات مشتركة كعملية غشت ١٩٥٥ التي سقط خلالها المئات من الشهداء من كلا البلدين. لقد قرر الاستعمار الفرنسي تقسيم واجهاض هذا الكفاح المسلح بمبادرة ارجاع محمد الخامس من منفاه، واستعداده للتفاوض من أجل استقلال المغرب، ثم القبول بذلك من طرف الحركة الوطنية بقيادتها السياسية، خاصة المتمثلة في حزب الاستقلال الذي تنتسب اليه أطر المقاومة وجيش التحرير.

فمؤتمر مدريد جاء اذن لمعالجة الظروف الناشئة في تلك المرحلة. وقد حضر الى مدريد لمعرفة نوعية القرارات التي سيتخذها المؤتمر كل من الشهيد العربي بن المهيدي، ومحمد بوضياف، وآيت أحمد كأعضاء في قيادة الثورة الجزائرية. وقد شارك في المؤتمر، اذا لم تخني الذاكرة، الاخوة محمد بن سعيد، الحسن الاعرج، عبد الله الصنهاجي، عباس المسعودي، سعيد بونعيلات، الدكتور الخطيب، السكوري محمد، التوزاني أحمد، المهدي بن عبيد، الغالي العراقي، الحسين برادة، أحمد الدغمومي، محمد البصري. كما جاءت عناصر مغربية أخرى لتتابع أعمال المؤتمر دون أن تشارك فيه. وكان من أهم النقاط التي نوقشت في المؤتمر هي: عدم قدرة المقاومة وجيش التحرير على التصدي للتيار الجارف الذي يعتقد أن الهدف الذي ناضلت من أجله الحركة الوطنية على وشك التحقيق، وي فوق ذلك ما حققته الحركة الوطنية التونسية من المكاسب التي انحصرت في الاستقلال الداخلي. وراحت كل المحاولات عبثا لاقناع القيادات السياسية بالتزامنا كمقاومة وجيش التحرير بالنضال من أجل هدف أسمر وأشمل، وأنا لذلك نحاول مع الاخوة الجزائريين اقناع الاخوة التونسيين بضرورة استمرار الثورة بتونس، وحاولنا بالذات مع المرحوم صالح بن يوسف. وأذكر أن آيت أحمد أجل موعد سفره الى الولايات المتحدة في مهمة لدعم المكتب الاعلامي بنيويورك، وكان سبب تأجيل سفره هو الاطلاع على مقررات مدريد.

كما أذكر أن أول صعوبة اعترضتنا هي الموقف الذي طالب بادانة حزب الاستقلال بسبب موقفه من المقاومة وجيش التحرير، ولهذا رفض الاعضاء حضور علال الفاسي ذلك المؤتمر، باعتباره زعيم الحزب رغم تأييده العلني للمقاومة بواسطة

اذاعة صوت العرب من القاهرة. وقد اقترحت مجموعة من المؤتمرين اعتماد منشور اذاعة بعث به من مدينة تطوان الى "الداخل" (أي الجزء المحتل من طرف الفرنسيين اذ ذاك)، إلا أننا اعترضنا ورفضنا توزيع هذا المنشور، لأننا رأينا في ذلك اضعافا للرأي العام الداخلي، واعتبرنا ما حدث مجرد سوء تفاهم يجب العمل على التغلب عليه، وأنه لا يعدو أن يكون مجرد سلوك مجموعة أو أفراد.

مفاوضات "ايكس ليبان"

بعدما وجدنا أنفسنا أمام قرارات سياسية اتخذت على اثرا اجتماع "ايكس ليبان" مناقضة لتطویر أساليب النضال ومتابعة معركة السلاح الى أن يتحرر المغرب العربي، لم يكن أمامنا الا بحث الامر الواقع، حيث حلت مشروعية التفاوض من أجل استقلال المغرب محل شرعية النضال من أجل تحرير المغرب العربي، واستلمت القيادة السياسية المشروعية على طاولة "ايكس ليبان" لتنازع قيادة الكفاح المسلح. وما كدنا نفرغ من هذه النقطة حتى شرعنا في مناقشة القرارات المتفق عليها بين القيادة السياسية والحكومة الفرنسية بدءا من المنطقة الشمالية الخاضعة للنفوذ الاسباني مروراً بآيفني الى موريتانيا عبر الصحراء، مركزين على القواعد الأمريكية وجلاء الجيوش الفرنسية والاسبانية.

ورغم الاعتراضات ضد الاستاذ علال الفاسي وكذلك ضد الاستاذ عبد الكبير الفاسي، فقد اقترحنا أن نذهب مجتمعين للاتصال بالاستاذ المرحوم علال لعرض قرارات مؤتمرنا عليه بعد الموافقة عليها. والحقيقة انه كان مدركا لخطورة الموقف وللتشنج الذي يسيطر على مجموعة منا، فحاول الدفاع عن سلوك قيادة الحزب التي استنكرت نشاط المقاومة على اثر انفجار قنبلة "مارشي سانطال"، حيث وضع المقاومون قنابل بالسوق المركزي سنة ١٩٥٣، الذي يترتبه الفرنسيون، خلفت ضحايا كثيرة. وعلى اثرها توجه وفد من حزب الاستقلال الى السلطات الفرنسية مستنكرا العملية و"كل أعمال العنف". وقد اعتبر الاستاذ علال الفاسي استنكارهم نتيجة رعب أصابهم. كما اعتبر أن الموقف الحقيقي للحزب هو ما عبر عنه شخصيا بتصريحاته وبسلوكه، وما عدا ذلك فليس الا مواقف شخصية تمت تحت ضغوط وعوامل أخرى انتهازية، وأكد معارضته لمفاوضات "ايكس ليبان" وأعلن موقفه المعارض لروح "ايكس ليبان" في تصريح له في القاهرة. وأضاف الاستاذ علال "أن الحرص على وحدة الحزب، والصورة التي أعطيت لي بواسطة بعثة حزبية جاءت لمقابلتي بالقاهرة، جعلتني أرى أن ما حصل عبارة عن مكسب نضالي من شأنه تعزيز المسيرة نحو هدفنا المرسوم، سواء بالنسبة لتحقيق وحدة المغرب العربي أو تحرير بقية الاراضي المستعمرة وتصفية باقي القواعد الاجنبية". ومن أجل ذلك وقع الاتفاق على أن لا يتم المساس بجيش التحرير لأنه

الرباط، وهكذا يمكنه مصاحبة الدكتور الخطيب من المنطقة الشمالية واجتياز نقطة التفتيش دون مراقبة السلطات الفرنسية.

ولم أترك الفرصة تمر دون أن أناقش الخطيب مخالفته لقرارات المؤتمر، وكان جوابه يعطي الموضوع صفة ذاتية وعدم قدرته على مقاومة حبه لأمه، الأمر الذي دفع به للاتصال، وأنه سيكتفي بالاتصال معها هاتفيا فقط. وكان من بين الحاضرين الدكتور المهدي بن عبيد الذي تعهد بالتزام الخطيب، وأكد أن مجي أحرضان كان بدافع الصداقة، وتعهد بن عبيد بالحرص على تنفيذ مقررات الاجتماع.

ولعله من المفيد معرفة علاقة الدكتور الخطيب بجيش التحرير، إذ يرجع ذلك إلى الحاج أحد الأخوة الجزائريين على ضمه إلى الجيش باعتباره من أصل جزائري. وعلى أثر ذلك استدعي لتطوان قادما من باريس للقيام بمهمة التنسيق بين جيشي التحرير الجزائري والمغربي. وقد ساعد على انضمامه لجيش التحرير انعدام الاطر والكوادر المثقفة بين صفوف المقاومة وجيش التحرير بعد رفض القيادة السياسية لحزب الاستقلال ارسال بعض الاخوة للاتحاق بالنضال المسلح مثل الشهيد المهدي بن بركة وعبد الله ابراهيم وعبد الرحيم بوعبيد.

ولنفس الاسباب جاء "بوزار" كعسكري (وهو جزائري) عندما رفض بعض الضباط المغاربة الذين عرض عليهم الالتحاق بمصر ليتسلموا شحنة من الاسلحة بعد أن أصرت القيادة المصرية على ضرورة وجود ضابطين من المغرب والجزائر لاستلام الاسلحة. ومن بين الضباط المغاربة الذين تم الاتصال بهم في هذا الموضوع كل من الضابط الملازم يعته (أخ علي يعته)، وأدريس بن عيسى، الجنرال حاليا، والقبطان أحرضان. وقد تم الاتصال بهم بواسطة الاخوة حسب الترتيب: المرحوم محمد الشرايبي، عبد الحميد الزموري، الدكتور عبد السلام العراقي. وأمام رفض الضباط المذكورين لتحمل المسؤولية التجأنا في هذه المرة كذلك لاقتراح البديل: تكليف الضابط "بوزار" من الجزائر. وقد تصرفنا في هذه القضية كلها بعقلية المؤننين بالمصير المشترك وبالنضال الموحد مع الجزائر. وهنا لا بد من الاشارة الى موقف أحد المناضلين الجزائريين من مقررات مدريد، وهو الشهيد العربي بن المهيدي الذي فكر مليا كعادته، ثم يادرننا بالسؤال التالي:

"هل تستطيعون اقناع الملك وحزب الاستقلال معا بضرورة النضال في الاتجاه المرسوم؟ فكان ردنا أننا سنعمل جميعا وأنتم معنا على اقناعهم، ورد الدكتور الخطيب بسؤال آخر: هل ستقبل الجزائر بمحمد الخامس ملكا على المغرب والجزائر معا؟ فكان جواب الشهيد العربي بن المهيدي: "إذا قبل الملك بالخط النضالي الذي اتفقتم عليه، وصار بالإمكان فعلا جعل المغرب المستقل قاعدة أرضية محررة للثورة الجزائرية فلا مانع من ذلك، ونحن على استعداد لبحث الموضوع في اطار الثورة بشكل منتظم عندما تتوفر العناصر الضرورية لديكم. أما الآن فأنا أتكلم باسمي الشخصي فقط".

الضمانة الحقيقية لاستمرار التعبئة السياسية والتنظيمية والنفسية كي لا يجرفنا التيار الحماسي والعاطفي الذي يصحب عادة كل انتصار، نحو التفكك والاسترخاء. وقد تم فعلا توزيع المسؤوليات بالنسبة للداخل وجيش التحرير، كما تم الاتفاق على اعطاء تعليمات للابتعاد عن الظهور والاكتفاء بالتنسيق مع التنظيم السياسي حتى تضمن حماية القواعد من التعرض للبليلة التي بدأت تبرز اثر اجتماع "ايكس ليبان"، عندما استطاع الاستعمار الفرنسي الحصول على موافقة الحركة الوطنية لحضور ممثلي الاقطاع والخونة، وكذلك التمثيلة المزيفة التي منحت باسم ضرورة حضور "اليهود" و"البربر" و"سوس" إلى آخره، على مائدة المفاوضات في "ايكس ليبان"، حيث جلس الكلاوى والحجوى وغيرهم إلى جانب ممثلي حزب الاستقلال وحزب الشورى والاحرار المستقلين، فنتج عن ذلك حكومة مثل فيها كل من بنزاكين (اليهود) واليوسي (البربر) والمختار السوسي (اقليم سوس)، وكذا بالنسبة لمجلس التاج.

المهم أن الاستعمار عمل على حسم الموقف بتحويله الصراع معه إلى صراع على السلطة وتجزئة الوحدة الوطنية التي خلقها النضال السياسي بتسليمه الحركة الوطنية هدية مسمومة سميت "الاستقلال".

ومن أجل حصر المشروعية النضالية في المقاومة وجيش التحرير وضمان وحدة النضال السياسي والعسكري، التزم الاستاذ غلال الفاسي بعدم الدخول إلى المغرب وقتئذ، وباتخاذ مدينة طنجة مقرا له، حيث كانت هذه المدينة دولية إذ ذاك، كما التزمت من جهتي بتعميق الخط السياسي المقرر مع القيادة السياسية للحركة الوطنية.

بداية مناورات القصر

وفي طريقي إلى الدار البيضاء عرجت على طنجة، وهنا فوجئت بوجود اتصالات هاتفية بين القصر، الذي لم يمر على وجوده سوى بضعة أيام، وبين شخص كان عليه أن يلتحق بجيش التحرير بالجنال حسب الاتفاق المسبق. ثم أبلغني المرحوم عبد الله باعقيل، الذي كنت مقيما عنده، بأن عامل اقليم الرباط سيصل عما قريب، ولعل القصر أرسله للاتصال بالدكتور الخطيب بعد مكالمات مباشرة بتنسيق مع أم الخطيب، وطلب إليه أن يلتحق بالرباط، وأن اختيار عامل اقليم الرباط، السيد المحجوبي أحرضان لهذه المهمة يرجع إلى عدة أسباب أهمها:

(١) صداقة أحرضان مع الخطيب وارتباط مصالحهما مع بعض، إذ كانا شريكان في مشروع لتسمين الابقار في دائرة الماس.

(٢) امكانية أحرضان من التحرك بسهولة دون التعرض لاجراء الامن والجمارك في نقطة عرابوة (النقطة الجمركية والحدود التي تفصل بين التراب المغربي المحتل من طرف فرنسا والجزء الشمالي المحتل من طرف اسبانيا) باعتباره عاملا لمدينة

وما كدنا نشرع في العمل على فتح واجهة ضد الاستعمار بالصحراء حتى فوجئت بمكالمة من الخطيب بمدرسة عبد الكريم لحلو - وهو المكان المتفق عليه - يطلب مقابلتي، وعند لقائنا أخبرني بدخوله تحت ضغط والدته، ويخبرني بالمناسبة أن الملك وولي العهد يرغبان في الاتصال بي وهو مكلف بتحديد موعد للعشاء معهم في القصر. وفعلا تم الاتفاق على موعد محدد وذهبنا بوفد مكون من خمسة أشخاص، وقد اعتقدت أن الغرض من اللقاء هو التعارف خاصة وأن الخطيب أكد رغبة الملك وعائلته في التعبير عن العرفان بالجميل لمسؤولي المقاومة وجيش التحرير، وهو وأسرته عاجزان عن التعبير عن الامتنان لأولئك الذين أنقذوا شرفه وشرف الأسرة، وأنقذوا كرامة المغرب. إلا أن حديث العشاء تناول أشياء أبعد من ذلك ومن أخطرهما انزعاج القصر من محاولة علال الفاسي بأن يجعل من جيش التحرير جيشا جمهوريا، وهو لذلك يجهل لماذا توجد شارات تحمل صور علال الفاسي. وكان ذلك بداية الحديث لطرح موضوع حل جيش التحرير للنقاش، وبرر ذلك بوجود سلطة شرعية تتمثل في الملك والحكومة المغربية، أما وجود جيش التحرير فسيعرض هيبة السلطة الشرعية للخطر أمام الرأي العام في الداخل والخارج، ويمكن أن تضعف مركزنا في التفاوض من أجل الاستقلال. وقد طال النقاش بسبب رفضنا لتلك الأفكار. وهنا حاول الملك تعزيز موقفه وإقناعنا بسلامة رأيه بالنسبة للثورة الجزائرية، وأكد التزامه بتقديم كل المساعدات الممكنة من أجل دعم تحرير الجزائر، وسيعمل على أن تكون الصحراء واجهة ضد الاستعمار لتخفيف الضغط على الثورة الجزائرية، واقترح تأجيل النقاش في الموضوع إلى أن يبيث في النقاط المستعجلة، كما أبدى استعداداه لحمل السلاح معنا كأحد جنود جيش التحرير إلى أن يتم الجلاء ويتحقق الاستقلال الكامل. إلا أننا تشبثنا بالخط الذي رسمه مؤتمر مدريد. وألح الأمير الحسن على ضرورة تنظيم لقاء للملك مع القادة المسؤولين من المقاومة وجيش التحرير كلهم قصد التعرف عليهم جميعا.

وهكذا انقلب اللقاء من التعارف إلى انزعاج القصر من علال الفاسي، وإلى الطعن في مشروعية جيش التحرير، غير أن القصر لجأ إلى مناورة أخرى حيث حاول اظهار استعداد جيش التحرير لتقديم الولاء والطاعة للملك، فاستدعى الصحافيين وممثلي الإذاعات والمصورين يوم الجمعة أثناء خروج الملك من الصلاة، وجي بعناصر من جيش التحرير باللباس الرسمي لتقديم قطعة سلاح للملك كرمز الطاعة له. كل ذلك تم باتفاق وتخطيط متقن بين ولي العهد الحسن والدكتور الخطيب. وقد تم الاتصال بقيادة جيش التحرير أثناء غيابي في مهمة بالجنوب لاعداد جيش تحرير الصحراء ونسب إلينا ما دبره الحسن مع الخطيب. وما كدنا نطلع على تفاصيل المسرحية بواسطة الإذاعة حتى قررنا الالتحاق بالرباط للوقوف على حقيقة الامر. وعند وصولنا علمنا بوجود المسؤولين بمنزل أحرضان عامل الرباط والتحقنا بهم، وإذا بهم يستغربون الموقف بسبب اعتقادهم بموافقتنا على ما جرى. فسالت عن الخطيب الذي كان موجودا

بالدار البيضاء، وبعد الاتصال به حددت معه موعدا في اليوم الثاني على الساعة الحادية عشرة بالرباط، وعندما قدمت إلى الموعد المحدد كانت المفاجأة الأولى: وهي نقل المسؤولين من الجيش إلى دار وزير الداخلية المرحوم الحسن اليوسي. ولما سألت الخطيب عن تصرفه بإدراكي بالجواب قائلا: إن أوامر صدرت إلي من الملك وولي العهد بذلك، وكان من الطبيعي أن يكون النقاش في إطار المسؤولية القيادية بجيش التحرير والمقاومة، ولذلك فستكون المحاسبة في هذا الإطار، خصوصا وأن اتفاقا تم بموافقة الملك وولي عهده كذلك.

وكانت المفاجأة الثانية: كنا نحن بالصالون أنا والحسين برادة والخطيب، عندما وقف هذا الأخير وفتح باب إحدى الغرف ليدخل منه ولي العهد الحسن الذي كان يتابع الحديث من وراء الستار، ثم اتجه إلي الخطيب قائلا: هذا هو ولي العهد، دبر أمرك معه، وأما أنا فلست إلا خادما مطيعا لسيدنا. ثم أكمل الحسن: "الله يا ودي كيف تحاسب الدكتور الخطيب على إخلاصه لملكه...؟"، ولما أدرك أصراري على الموقف الذي وقع عليه الاتفاق، أبلغني أن الملك محمد الخامس ينتظرنا مساء نحن الثلاثة: الخطيب وولي العهد وأنا. ولما تم اللقاء بإدراكي محمد الخامس بقوله: إن لدى أربعة أولاد هم الحسن، عبد الله، الخطيب، البصري، لذا يحزنني ما جرى بينك وبين الخطيب، وأدعوك لترسيخ الأخوة بينكم. وبعد خروجنا من القصر الملكي، دعينا من طرف ولي العهد إلى مقهى على شاطئ البحر بطريق تمارة يرتادها باستمرار. فبادرتي بعد نزولنا من السيارة قائلا: هل أنت من محبي الشرب وهواة الرقص؟ فأجبت بالنفي. ثم استطرد قائلا: إن جدنا عليه الصلاة والسلام قال "أحب من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وقرة عيني في الصلاة".

وفي خلال الحديث سألني عن أول مناسبة التقيت فيها بالملك لأن هذا الأخير لم يعد يتذكرني. فأجبت قائلا: إن أول لقاء لي مع محمد الخامس كان سنة ١٩٥١، عند اصطدامنا كطلاب مع الكلاوى باشا مراكش، فقررنا الاتجاه إلى القصر بعد أن شكلنا وفدا يتكون من عشرة طلاب كنت على رأسه. ولا زلت أذكر تلك المشادة التي جرت بيني وبين ابن أيعيش حاجب الملك إذ ذاك. فقد سألت عن رئيس الوفد ونحن على مقربة من باب قاعة الاستقبال، ولما تقدمت نحوه شد علي الخناق ونادى بأعلى صوته "نعم سيدي، الله يبارك في عمر سيدي، وقد مراكش"، وفي نفس الوقت ضغط علي بقوة لاركع أمام أقدام محمد الخامس حسب التقاليد المرعية، وهنا صحت في الحجاب بعنف: كف يدك وابعد عني، فتدخل الملك قائلا له: أترك الطلبة وابعد. وكان لهذه الحادثة أثر سي في نفسي بسبب صعوبة الوصول إلى القصر ومحاولة إخضاعنا للبروتوكول والتقاليد. وهنا تسأل الحسن عن سبب الصدمة ما دام مقام حضرة صاحب الجلالة يستدعي ذلك.

مواقف المرحوم علّال الفاسي

كان من رأينا ضرورة حشد جميع الطاقات في الاتجاه الصحيح كي نتمكن من تخطي جميع العقبات، لذا قمنا برحلة الى طنجة لدراسة الموقف من جديد مع الاستاذ علّال الفاسي، وهناك استعرضنا الموقف من جميع جوانبه، كالتفسيرات التي بدأت تطرح كتبرير لتأمر القصر ضد جيش التحرير، الا ان اهم شي تركّز حوله النقاش كان هو وضع الحزب، وظهور نتائج الاخطاء السابقة وتوسع موجة الحقد ضد بعض الاطر الحزبية التي الذي يركز سلطة الملك، فتصبح غير منازع فيها. أضف الى ذلك رد الاعتبار الى الخونة المتعاونين مع الاستعمار، وكذلك الاقطاعيين. وكان ذلك هو الخط العام لسياسة القصر الرسمية، وقد عبر عن ذلك بوضوح في خطابه الرسمي بعد عودته من المنفى، ومهدت الحركة الوطنية لذلك بقبولها اشراك هؤلاء الخونة والاقطاعيين في التفاوض من أجل الاستقلال وفي المؤسسات الرسمية الحكومية ومجلس التاج.

وكان الحرص شديدا اثناء جلستني في طنجة مع علّال الفاسي على عدم اقحامه في لعبة القصر والمحافظة على رصيده النضالي، وحضر معنا في دار عبد الله باعقيل، الحاج محمد الباعمراني الذي عين في اواسط الخمسينات عاملا لاقليم أكادير. وقد قدمت بعض الملاحظات بالنسبة لضعف الحزب، فكان من رأى الاستاذ علّال ان يستلم الشباب وكوادر المقاومة وجيش التحرير المسؤولية في المراكز الاساسية للحزب، وعلى ذلك بتعب اغلب أعضاء اللجنة التنفيذية وبوجوب المحافظة على كرامتهم وشرفهم. وكان من رايه ايضا ابعاد أولئك الذين لم يتسطيعوا التكيف مع الاحداث بدون تردد مثل الحاج احمد بلافريج، وابدى اهتماما كبيرا بالمهدي بنبركة الذي بدأ يعطي جهدا تنظيميا وتوجيهيا كفيلا بتجميع طاقات الشباب والتغافه حول الحزب.

وفي معرض الحديث خلال احدى الاستراحات، بدأنا نتكلم عن الادب والشعر، فاغتنمت الفرصة وذكرت له ملاحظة سابقة لوالدي قبل وفاته استخلصها من قراءاته لشعر الاستاذ علّال. يقول الاستاذ علّال في احدى قصائده:

ابعد مرو الخمس عشرة العب * والهو بلدات الحياة واطرب
ولي نظر عال ونفس أبيسة * مقاما على هام المجرة تطلب

هذان البيتان يضعان علّال الفاسي، حسب رأى والدي، في مستوى من الطموح لا يتناسب مع قصيدة امتدح بها محمد الخامس عند زيارته للقرويين في اواسط الاربعينات، ولم يكن قد مروت طويل على رجوع علّال الفاسي من منفاه بالغابون حيث استقبل استقبالاً حاراً اربع القصر، ومن هذه القصيدة:

علّال خادم عرشك العلوي * لا ينك يندم مجدك المسلوبا

وقد علق والدي على ذلك بقوله كيف يمكن الجمع بين الطموح الذي يبتغي

المجرة مقاما، وبين القبول بوظيفة خادم يبتغي رضا سيده؟ وكان رد الاستاذ علّال: ان علّال الذي يبتغي المجرة مقاما هو علّال القدوة. ثم أخذ يشرح الضغوط التي مارسها عليه اللجنة التنفيذية للحزب اثر انزعاج القصر من التفاف الجماهير حول زعامته، الامر الذي قد يؤدي الى دفع الملك الى مساندة الحماية الفرنسية ووقوفه الى جانبها ضد الحركة الوطنية، لذا يجب تهدئة مخاوف الملك. ثم اردف قائلا: ومع أنني تنازلت بتلك القصيدة من أجل فصله عن الحماية، لم يطمئن لوجودي، فتعرضت من جديد لضغوط اللجنة التنفيذية كي اذهب الى المنفى الاختياري في الشرق العربي عبر أوروبا.

وبعد هذه الاستراحة عرضت عليه فكرة ارسال بعض اطر جيش التحرير ومعداته الى الصحراء وموافقة الاخ المهدي على ذلك بعد دراسة مشتركة ميدانية قمنا بها معا في زيارة لكل من مراكز جيش التحرير بالشمال وتازة واكليم فاس. وقد وافق الاستاذ علّال على تلك الفكرة مضيفا أنه سيبحث مع الاستاذ عبد الكبير الفاسي رسم خريطة لجغرافية المغرب الحقيقية. وفي تلك الظروف التي لا زال الحزب وبالتالي المقاومة وجيش التحرير يعانون جميعا من اثر المواقف السلبية لبعض القياديين السياسيين، يمكننا ان نتساءل: هل يعتبر اتفاق المهدي وعلّال الفاسي والبصري ملزما لجميع المسؤولين الآخرين. ثم كيف يمكن توفير الظروف والشروط الملائمة لاستمرار جيش التحرير في وقت أصبح فيه الكثيرون يرون أن الهدف قد تحقق برجوع الملك، والوعد بالحصول على الاستقلال، كما يرون أن المرحلة المقبلة تتطلب تثبيت السلطة الشرعية لدولة الملك وضمان هيبتها واستقرارها. وكان من مثلي هذا الخط أولئك الذين لم يؤمنوا قط بأسلوب الكفاح المسلح. وكانت نظرة الاستاذ علّال متفائلة الى درجة اعتباره أن هؤلاء لن يجروا على اعتراض الموقف المتفق عليه، لاننا نحن الذين نجسم مشروعية الحزب المناضل. ولكي لا ندخل مع القصر في صراعات جانبية تلهينا عن الهدف الحقيقي، ارتأينا البحث عن صيغة تحدد مهمة كل واحد وتضعه امام مسؤولياته الوطنية لتحقيق مهمة الثورة التي جسدت بجدارية طموح الجماهير في غياب الحكام الحاليين. وبعد العودة من طنجة انصب الاهتمام كله على الجنوب حيث تتواجد اطر جيش التحرير التي ستكلف بمهمة تحرير الصحراء. ثم أجريت اتصالات مع اطر المقاومة في جميع المدن وبدأت بتعميق النقاش في هذا الموضوع مع المسؤولين والنقابيين كمحاولة لربط القاعدة الجماهيرية بجيش التحرير وبالتالي ربط الجزر المستقل نظريا بالجزر المحتل عمليا.

بداية الصراع على قيادة النقابة

وخلال ممارستي لهذه المهمة مع الاطر النقابية كان النقاش حادا، او على الاصح الصراع حادا على قيادة المنظمة النقابية بين السيد الطيب بن بوعدة الذي يعتبر

كاتباً عاماً انتخبه المؤتمر الذي صوت بأغلبية ساحقة له، وبين المحجوب بن الصديق الذي يعتبر نفسه أحق وأقدر من الأول، خاصة في ظروف ما بعد الاستقلال، ويرى أن إبعاده عن القيادة جاء نتيجة لظروف معينة أحاطت بالمؤتمر. ويمكن تلخيص الموقفين كما يلي:

سأبدأ أولاً برأي الشهيد إبراهيم الروداني الذي يعتبر بحق أهم مؤسسي منظمة الاتحاد المغربي للشغل والمقاومة. يقول الشهيد إبراهيم: انني أشك في كل من يربط مساهمته النضالية بالتنازل له عن المراكز القيادية، كما أشك في كل شخص لا يخضع للرأي الديمقراطي مهما قيل عن الملابس التي مر بها المؤتمر. ويمكن قبول الطعن في المؤتمر إذا كانت هناك مبررات تثبت عدم سلامة نتائجه. إلا أنني متأكد - يقول الشهيد إبراهيم الروداني - أن المحجوب لا يريد إلا البيعة، وأعتقد أن قيادة ضعيفة كقيادة الطيب يمكن أن تعزز القيادة الجماعية داخل المنظمة النقابية. ثم يضيف قائلاً: إن تجربتي النقابية بفرنسا أثبتت لي صعوبة امتثال النقابة للقيادة السياسية الحزبية وخطها السياسي خاصة في حالة وجود شخص كالمحجوب على رأس النقابة. وأما الرأي الثاني فقد طرحه الاستاذ عبد الله إبراهيم، ويعتبر في الحقيقة رداً على الأول. يقول عبد الله إبراهيم: إن المطالب بالتطور هو الحزب، لذا على المنظمات الجماهيرية أن تفرض هذا التطور من القاعدة على الحزب، أما محاولاتي مع العناصر القيادية فإنها لم تعط أية نتيجة، وآخر هذه المحاولات اجتماع بين عناصر قيادية في الحزب في الصخيرات بضيعة هناك، ولكن نتائج الاجتماع تعرضت للإجهاد من طرف اللجنة التنفيذية، وليست هناك علامة تشير إلى استخلاص القيادة السياسية العبرة من الأحداث، وهي ليست واعية حتى بتخلفها.

ويبرهن عبد الله إبراهيم على كلامه بموقفين واضحين للجنة التنفيذية: ادانتها للمقاومة بعد حادثة "مارشي سانطال"، وموقفها من النقابة أثناء التحضير لمؤتمرها بشارع "السويس" بالدار البيضاء في ٢٠ مارس ١٩٥٤، حيث وصف هذا المؤتمر من طرف أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (محمد اليزيدي حسب الرواية) بمؤتمر "السلاقط" (أي الصعاليك). وحينما سألت عبد الله إبراهيم عن رفضه الالتحاق بجيش التحرير كان رده أن أعداد العنف الجماهيري لا يقل أهمية عن الالتحاق بجيش التحرير. وهكذا أصبح من العسير الوصول مع القيادة النقابية إلى نتيجة تسمح بتجنيد الطبقة العاملة بسبب الصراعات الداخلية للمنظمة. جمعت عناصر الموضوع لاضها أمام الشهيد المهدي بن بركة علناً نصل معاً إلى وسيلة تمكننا من تعبئة كل القوات الحية بالبلاد من أجل مواصلة الكفاح حتى يتحقق الهدف الذي ناضلنا من أجله، والذي خطط له في غياب القيادة السياسية، وأصبح علينا فرضه لكي يصبح خطأ سياسياً للحركة الوطنية، وبالذات للحزب الذي عملنا داخل صفوفه كمناضلين دون أية مسؤولية سياسية. وقد انتهى النقاش مع الأخ المهدي إلى الاتفاق على فتح حوار مع الأطر

القيادية بالاتحاد المغربي للشغل، مع التركيز على العناصر الكفأة القيادية حسب رأي المهدي. والحقيقة أن أغلب الأطر النقابية كانت إلى جانب الشهيد إبراهيم الروداني أي مع الطيب بن بوعزة كأمين عام للاتحاد.

وحسب الاتفاق مع الشهيد المهدي، دعيت إلى اجتماع بدار الحسين بلعيد ("الحوس") في شهر فبراير ١٩٥٦، مع كل من المحجوب بن الصديق، الطيب بن بوعزة، محمد الصديق الإبراهيمي، التباري اسماعيل. وقبل أن ننتهي من استعراض عناصر الموضوع احتدم النقاش بين المحجوب من جهة، وبقية المجتمعين من جهة أخرى. وقد كانت الأغلبية مصرّة على إخضاع المحجوب للقاعدة الديمقراطية التي حملت الطيب للكتابة العامة للاتحاد المغربي للشغل، وقد حسم الطيب بن بوعزة الموضوع في النهاية حينما ألقى مسؤولية الاختيار علي بسبب الروابط التي كانت تربطه بالمقاومة عن طريق الشهيد إبراهيم الروداني، إذ قال: "ما دامت المسألة تتعلق بمتابعة جيش التحرير والمقاومة لمهمتهما في تحرير الصحراء وتعبئة كل القوى من أجل ذلك فأنا على استعداد للتخلي للمحجوب، وسأعمل على اقناع بقية المسؤولين". وهكذا أصبح الأمر لصالح المحجوب بن الصديق. وقد أبلغت المهدي وعبد الله إبراهيم بذلك، ثم سافرت مع المحجوب إلى شرق المغرب: جردادة، وجدة، بركان، بويكر، لفتح الحوار مع الأطر النقابية هناك، لأن الطيب بن بوعزة من هذه المنطقة، ولأنه مارس هناك عمله السياسي والنقابي الذي اعتقل وسجن ونفي بسببه أثناء الاحتلال الفرنسي. وكانت جولتنا هذه مناسبة لتعميق النقاش في الوضع بصفة عامة، ودور النقابة مستقبلاً بصفة خاصة، كما تطرقنا إلى خيبة أملنا في قيادة الحزب باستثناء علال الفاسي والمهدي بن بركة.

ثم استأنفنا السفر نحو تازة لبدء المرحلة الثانية من جولتنا ونحن نتحدث عن الإمكانيات الضرورية لتنفيذ المخطط المتفق عليه داخل المنظمة النقابية، فاتفقنا على تقديم قدر مالي من تبرعات جمعت من كافة أنحاء المغرب لفائدة جيش التحرير. واتفقنا على تجهيز بنائات كمدارس للأطر، ولهذه الغاية قمنا بعد ذلك بتسليم دار الكلاوى بمراكش للاتحاد المغربي للشغل بالإضافة إلى بنائية بالمحمدية ودار الإقامة العامة الفرنسية بالدار البيضاء - دار الاتحاد المغربي للشغل حالياً - ولكي لا تصبح المقاومة احترافاً، تقرر التحاق كل الأطر الواعية بها بجيش التحرير وخصوصاً الشباب منهم مع استقطاب العناصر الكفأة من إقليم سوس بالذات حيث تتوفر لديهم معرفة كافية بطبيعة الأرض.

جريدة التحرير وجيش التحرير من أجل الصحراء

إن التفكير في انشاء جريدة "التحرير" جاء في الواقع لتتيمم مهمة تحرير

الصحراء، حيث تكون هذه الصحيفة المعبرة عن نضالات جيش التحرير. وكان من أول المرشحين كمحرر في الجريدة شاب صحراوي هو الباهي محمد، إلا أن التطورات التي حصلت فيما بعد جعلت من الجريدة اللسان المعبر عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وبينما نحن منهمكون في الاعداد لجيش التحرير وتعبئة القوى الحية بالبلاد، فوجئنا ذات يوم بالاذاعة المغربية تعلن أن المرحوم علاء الفاسي قد وصل إلى الرباط ليهنئ "صاحب الجلالة" بالعودة إلى المغرب، ثم رجع فور خروجه من مقابلة الملك إلى مدينة طنجة، حيث تناول طعام الغداء في عريابة. ويرجع سبب قدومه إلى الرباط واختلاله بالاتفاق المبرم بيننا إلى الضغوط التي مارستها عليه اللجنة التنفيذية التي أصبح وضعها محرجا مع الملك بسبب التساؤلات عن سبب إقامة علاء الفاسي في طنجة وعدم ممارسته مسؤوليته داخل الحزب كباقي الأعضاء الآخرين.

وهكذا ظل أعضاء اللجنة التنفيذية يمارسون عليه الضغوط باسم تهديدته خواطر "صاحب الجلالة" حتى أدخلوه في اللعبة نهائيا، والتحق بالرباط بمناسبة انعقاد مؤتمر الحزب الذي فضحت فيه القاعدة أخطاء ومواقف القيادة. وقد استغلت هذه الأخيرة رصيد علاء الفاسي ودفعته للتصدي للقاعدة الحزبية مبررا كل الأخطاء التي ارتكبت، فلم يجزء أحد على الرد أمام الرجل - الاسطورة في ذلك الوقت.

وعندما أصبح العمل على تنفيذ اتفاقنا في طنجة غير ممكن، أعد جيش التحرير مؤتمرا للصحراويين ضم كل رؤساء القبائل، فكانت مناسبة تم فيها اللقاء مع قبائل الصحراء بدار أحد الوطنيين بباب دكالة بمراكش، وكان من نتائج المؤتمر حشد وتنظيم امكانيات سكان الصحراء من أجل التحرير. وقد تولت بعد ذلك المقاومة رعاية ما يقارب من ١٠٠ طفل صحراوي نقلوا للدراسة في المدن، فترك ذلك أثرا بالغالدي اخواننا في الصحراء.

وبينما كان جيش التحرير يعد لعمليات ضد الوجود الفرنسي بالصحراء وموريتانيا، والوجود الإسباني بآيت باعمران والصحراء الغربية، فاذا بالجيش الفرنسي المتواجد في المغرب "المستقل" يقوم بتحركات من الخلف بأقليم سوس بموافقة وزير الدفاع آنذاك رضا أكديرة، وبموافقة رئيس الأركان الحسن. فالتجأ جيش التحرير لتنظيمات حزب الاستقلال بالأقليم وجندما لاقامة السدود في وجه الفرنسيين، حيث أقيمت حواجز في جميع الممرات، وحفرت الطرق، وقطعت وسائل التعمين. وعلى اثر ذلك استدعت شخصيا للاجتماع بـ "فيلا السويسي" بالرباط، وكانت أول مرة اجتمع فيها برضا أكديرة، ولعلها آخر مرة، فقدم اعتذارا على ما حصل، لأنه هو وسمولي العهد - حسب تعبيره - اعتبروا تحركات الجيش الفرنسي مجرد تحركات عادية تدخل في نطاق التمارين الخاصة به. وقد بدأت في نفس الوقت حملة ضد المسؤولين على تنظيم الشعب وتعبئته ضد هذه التحركات، لأن ذلك من اختصاص الدولة، حسب رأيهما. فكانت مناسبة أثرت فيها علاقة الدولة بالشعب، وكانت أول مناسبة أسمع فيها

مفهوم الدولة، فلم أستطع أن أملك أعصابي. فقد قال الحسن: إن الملك هو كل شيء أما الوزراء فليسوا معنيين ولا رأى لهم إلا رأى الملك، ثم التفت إلي قائلا: أنك أولى من يفهم هذا، ففي القرآن آية يطلب فيها موسى من ربه أن يجعل له من هارون وزيرا من أهله. فقلت: أولا أن ذلك يتعلق بفترة زمنية عريضة في القدم ولها علاقة بالديانة اليهودية، فتطورت بالمسيحية ثم بالاسلام تطورات هامة. ثانيا، أنك تناسيت "واشركه في أمري"، النصف الآخر من الآية، فأجاب بأن الاشراك متعلق بإرادة الملك.

ولهول الصدمة التي أصابتنني، بادرت فور خروجي من "فيلا السويسي" إلى الاتصال بالشهيد المهدي بنبركة لاؤكد له أن مفهوم الحزب للحكم لا يمكن أن يلتقي في يوم من الأيام مع مفهوم القصر، إذا كان الحسن يعبر حقا عن نفس المفهوم لدى محمد الخامس. ولما خفت انفعالاتي، بدأت استرجع كلام الحسن أثناء الحديث، مثل قوله: أن الأحزاب كواسطة بين الملك والشعب غير مقبولة من طرف الشعب نفسه. وقد حاولت مع والدي لياخذ بهذه الحقيقة، وأن يأخذ الأمير سيهانوك كمثال حيث يحكم مع الشعب مباشرة. كما تسأل ملتفتا إلى وزير دفاعه أكديرة: هل تعتقد أن الشعب المغربي يقبل بتجريد الملكية من سلطاتها، أو حتى جزئيا منها لفائدة الأحزاب على غرار الملكة اليزابيث؟ ثم قال مجيبا بنفسه على سؤاله: انني حاولت اقتناع أبي بعدم سلوك هذا الطريق الذي يعني ضياع الملك، وانني أحذر باستمرار الجري وراء الأوهام. بل بالعكس لولا الملكية التي تولت حماية الأحزاب لرجعها الشعب بالحجارة. ثم بدا يسخر خلال استعراضه لاسماء عائلية داخل الحزب مثل الفلوس وبنبركة معلقا: المهم ليس فيها اسم واحد أخذ اسم الباز أو النسر، فكلها دواجن. هكذا تكاملت عقليته ومفهومه...

وعندما اعترضت على اسناد رئاسة الأركان للحسن، لأن ذلك يخالف الاتجاه نحو الملكية الدستورية، كان الرد على تخوفاتي بأن العهد الذي نعيشه يتحكم فيه الاقتصاد ولا قيمة للجيش فيه. ويمكن القول أن هذا المفهوم كان سائدا داخل الحزب وعند أغلب القيادات الحزبية، بينما كان محمد الخامس يرى عكس ذلك.

لا أدعي أنني كنت أمتلك نظرية متكاملة في تلك الفترة، وإنما كانت مواقفي ناتجة عن ردود فعل غريزية أكثر منها عقلانية تعتمد على نظرية ايديولوجية، وكان ذلك قاسما مشتركا لكل القيادات، أو على الأصح أغلبها. إلا أن ذلك لا ينطبق على الحسن لأنه كان في الحقيقة غطاء لقوات أجنبية تخطط للمدى البعيد كي يصبح المغرب نموذجا للاستعمار الجديد. ولم ندرك هذه الحقيقة إلا في سنة ١٩٦٠، بعد انتهاء مؤتمر تونس الذي شارك فيه المهدي بنبركة والاستاذ عبد الهادي بوطالب عن الاتحاد الوطني. حيث انتهى المؤتمر إلى اعلانه صيغة تحدد هوية المغرب من خلال الملاحظات والمقارنة بأوضاع أخرى في العالم الثالث، وتم التحذير على الصعيد الشعبي من الاستعمار الجديد، ولا شك أن الشهيد المهدي بنبركة لعب دورا أساسيا

للوصول الى تلك الخلاصة .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت لدى تخوفات عن الطريق الذي نسلكه ، ولم اخف قط هذه التخوفات التي لعبت دورا في موقفني ضد الملكية بصفة عامة ، وضد ولاية العهد بشكل خاص . وكان واضحا ان اقامة المجلس الاستشاري لا تعني سوى مبايعة الحسن وليا للعهد ، وأن المجلس لن يستمر كتجربة ديموقراطية تتطور نحو الديمقراطية الحقة . ولا تقل مبايعة الحسن خطورة عن تعيينه رئيسا للاركان . ولا شك ان موقفني هذا من الحسن تسرب الى القصر الذي طلب مني ، بواسطة الغزاوي مدير الامن ، الالتحاق بالرباط . وعند وصولي أخبرني هذا الاخير بوجودي بالرباط ، ثم تناولنا طعام الغداء في بيته ، وهنا أخبرني بعدم رضاه لموقفني من ولاية العهد ، خاصة وأنه يعتبرني اخا للامير الحسن ، وأن فضلي على رجوع العائلة الملكية الى المغرب لا ينكر ، ثم اقترح علي الذهاب الى القصر . وهكذا كان . وعند سماع محمد الخامس لرأيي في البيعة بوضوح ، طلب من الغزاوي تحضير مقابلة مع ولي العهد لاصارحه برأيي باعتباره اخا لي (كما قال محمد الخامس) . ولا أريد الدخول في تفاصيل المقابلة ، ولا في المعاملة التي عومل بها الغزاوي عندما ضرب به المثل كنموذج لا يمكن الا أن يحط من كرامة الامراء لو حاضروه . وباختصار فقد بدأ من جديد يشرح لي نظريته في الحكم والاحزاب والشعب والملكية ، ثم قال لي : ستعرف بعد فوات الاوان أنك في حماة غير متناسبة اطلاقا مع تفكيرك وتجربتك وماضيك كذلك " . ثم استمر في استعراض الاشخاص القياديين واحدا واحدا بشكل كاريكاتوري .

المهم أنني صممت على عدم المشاركة في المسرحية ، وأبلغت الحزب برأيي ، وكان بين المسؤولين من شاركني في الرأي ولكن "الله غالب" . ومنهم من تأسف على حقدى على شاب ما كان ينبغي لي سوى أن اغتنم الفرصة التي لم تتح ربما لواحد غيري لاكون أحد أعمدته ان لم أكن أبرزها . وقد طلب مني المرحوم ادريس المهدي ، تطويق عناصر السو بالحاشية الملكية باقحام بعض عناصر المقاومة في الحاشية كجعل الاخ عبد الرحمن اليوسفي مديرا لديوان ولي العهد .

انني أرى من المفيد ذكر بعض الوقائع التي تساهم في فهم سياسة القصر وعقليته ومفاهيمه التي لا زالت تترك أوهاما عند بعض الاخوة . في حين كنا نعد فيه العدة لتحرير الصحراء حصل سوء تفاهم بيننا وبين الاستاذ علال الفاسي ، حيث غير الكثير من مواقفه قياسا بالاتفاق الذي تم بيننا في مدينة طنجة ، ذلك أنه أثناء الحشد من أجل توفر كل الشروط الضرورية لقيام مناخ صحي يضمن الدعم والمساندة لجيش التحرير كان من الضروري اقامة جمعية لقدامى المقاومين الذين لم يعد بوسعهم الاستمرار في المعركة ، ولم يكن بوسعنا اقناعهم بأن المقاومة سلوك واختيار امام تضخم مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية أثناء خوض معركة التحرير ، وكون أغلب هؤلاء المقاومين ينفرون من التنظيم الحزبي نظرا لمواقف الحزب السابقة . لذا كان من رأينا حفاظا على

المقاومة والحزب ، أن يتأسس هذه الجمعية شخص يحظى بثقة المقاومين وعلال الفاسي ، فعقدنا المؤتمر الذي حضر في هذا الاتجاه ، وكان لذلك أثر عميق في نفس الاستاذ علال الفاسي ، حيث أنه لم يقبل بتلك التبريرات .

ومن تلك اللحظة بدا واضحا أن الاستاذ علال أخذ ينظر إلينا بحذر كمجموعة داخل الحزب ، وتغيرت نظريته السابقة . وقد حاولنا ازالة سوء التفاهم هذا بتأييدنا ومساندتنا لترشيح الاستاذ علال الفاسي لرئاسة الحكومة (نوفمبر ١٩٥٨) ، بينما قيادييين من الحزب كان المفروض فيهم اتخاذ نفس الموقف ، وقفوا ضد ترشيحه ، وكانت هذه الحادثة كقيلة باعادة الثقة بيننا وبين الاستاذ علال ، الذي كشف أخيرا لعبة الحكم ، حيث ادعى القصر اذ ذاك أنه لم يكلف بتاتا علال الفاسي بتأليف أية حكومة ، وقد أعلن رحمه الله عن صحة تخوفاتي التي نبهته عليها . ، حيث عانقني بمنزل الاستاذ عبد الرحيم بوعبيد . لكن الاحداث والتطورات المتتالية والتقديرات المختلفة جعلتنا امام اختيار لا بد من الحسم فيه . ولقد لعبت الطموحات الشخصية ومخططات الحكم دورا في كون اتخاذ الاحداث مجرى آخر أظهرت الحزب بمظهر المنشق . وهذا موضوع آخر يحتاج الى تحليل وليس السرد والاستطراد في الاحداث .

اجهاض القصر لمحاولات الوحدة على الصعيد العربي

ومن جهة أخرى حاولنا توفير أسلحة متطورة لجيش التحرير ، حيث اشترينا صفقة من أوروبا ووقع الاتفاق على تحويلها الى ميناء اللاذقية ليقم بعد ذلك تحويلها الى المغرب عند تأمين طريق سليم حتى لا يستولي عليها الفرنسيون الذين لا زالوا يسيطرون على المغرب . وكانت الصفقة من نصيب الاخوة الجزائريين باتفاق مع الحكومة السورية (ديسمبر ١٩٥٧) . وكانت مناسبة كذلك لتنسيق العمل كمحاولة أولى على طريق اعادة النضال الموحد الذي أجهد بمبادرة من الفرنسيين ، وبذلك نستعيد ربط حلقات النضال التي تجعل من جيش التحرير ومن الاراضي المغربية قاعدة ومنطلقا لعمليات الثوار الجزائريين ، ومراجعة أخرى بوجه المخططات الاستعمارية التي كانت تعد مخططا باعطاء كل من المغرب وتونس استقلالهما ، والانفراد بالجزائر لكي تسحق ثورتها . أكدنا في القاهرة للاخوة الجزائريين عبد الحفيظ بوصوف ، الاخضر بن طبال ، عبد الحميد المصري ، ومحمد يزيد على فتح معارك في الصحراء ضد الاستعمار الفرنسي ، ونجعل منها واجهة مسلحة يمكن توسيع رقعتها حتى يتحقق الجلاء الشامل .

وفي القاهرة أيضا التقينا ببعض الشخصيات الموريتانية التي التحقت بالمغرب اثر لقائنا ومن بينهم المرحوم فال ولد عومير أمير قبيلة الترارة ، والداي ولد سيدي بابا ، والمختار ولد باه ، وشاب من عائلة الامير ، وآخر لم أعد اذكر اسمه ، حيث أجرينا معهم سلسلة من اللقاءات التحقوا بعدها بالمغرب ليدعموا نضالنا . وليس من الصعب

معرفة مصير كل هؤلاء، والوضع المأساوي الذي انتهى اليه البعض منهم. وليس من الصعب أيضا معرفة الأسباب أو الأشخاص الذين تأمروا مع الفرنسيين ليس لاغتيالهم وإنما لاغتيال قضية كاملة، والتاريخ أصدق شاهد على الأحداث التي مرت بها المنطقة. بعد رجوعي من المشرق العربي قدمت تقريرا عن الخطوات التي اتخذت ضمن تصوراتنا التي ترى في الحصول على الاستقلال مرحلة في طريق التحرير الكامل، ودعما للاستراتيجية التي تعتمد ربط حلقات النضال من أجل تحرير المغرب العربي ككل، وتوحيد ضمن الخط العربي الموحد الذي بدأ باستلامنا الأسلحة، وكان دائما سندا ماديا ومعنويا لنا في أوائل الخمسينات. ونوقش هذا الخط فيما يسمى باللجنة السباعية آنذاك، التي تضم الأخوة: المحجوب بن الصديق، عبد الله إبراهيم، المهدي بنبركة، عبد الرحيم بوعبيد، بوبكر القادري، علاء الفاسي، محمد البصري. إلا أن التحليل العام للوضع العربي ككل إذ ذاك، انتهى إلى أن الساحة غير ناضجة لطرح اختياراتنا لأسباب من أهمها أن محمد الخامس كان يعترض حتى على دخول المغرب للجامعة العربية بدعوى أن هذه الجامعة أداة في يد عبد الناصر، وكان يرى أن موتمر المغرب العربي بطنجة ليس سوى رد فعل للوحدة المصرية السورية، لذا ينبغي رفض القبول بمبادرة انعقاده. المهم أن الأغلبية كانت مقتنعة بموضوع الصحراء ووحدة المغرب العربي، وترك تنسيق العمل مع المشرق العربي كي نتجنب اغضاب القصر الملكي، واعتبار المرحلة الراهنة خطوة أولى لانضاج الظروف لاتخاذ خطوات نحو المشرق. وتطبيقا لذلك بدأنا بالمطالبة ببناء المؤسسات ونشر قانون الحريات العامة، فتكونت لجنة لصياغة مذكرة ترفع للملك بهذا الشأن. وقد ضمت اللجنة: المحجوب، المهدي، علاء الفاسي، ولما حررت المذكرة بالفرنسية ترجمها علاء الفاسي مما حول النقاش من المحتوى إلى الترجمة باعتبارها غير دقيقة. وأترك مرة أخرى مضاعفات المذكرة وانعكاساتها على العلاقة مع القصر وعلى الحزب نفسه.

محاولة تلغيم جيش التحرير بعناصر المخابرات

وقع الاتفاق على أن أتوجه إلى الجنوب للقيام بجولة في الصحراء لتقدير الموقف. ولم تعترضني أي صعوبة أثناء النقاش مع قادة جيش التحرير، حيث أطلعهم على الخطوات المنجزة سواء على الصعيد السياسي الداخلي أو على صعيد المغرب العربي وخاصة الجزائر. ولكن موقف القائد الأعلى لجيش التحرير المناضل بن حمواثر بعض الإشكالات. فقد انتهى من خلال تجربته داخل الحزب والظروف التي عاشها والتي أشرت إليها سابقا، انتهى إلى فقدان الثقة بـ"السياسيين"، ولكن بفضل إخلاصه للقضية أولا، ثم بسبب الثقة التي تربطنا جميعا، وضغوط بعض أطر المقاومة وجيش التحرير أمكن اقناعه بالذهاب معي للابدا، برأيه لمن يسميهم بالسياسيين، واشترط أن يكون نقاشه

مع المهدي بنبركة فقط. وقد ألح مناضلو جيش التحرير على ضرورة اقناع بن حموا بالتخلي عن مفهومه العسكري الصرف لأنه يثير كثيرا من المصاعب والحساسيات لدى المعادين للسلوك العسكري الكلاسيكي، حيث كان بن حموا يصر على أن تؤدى له المراسم العسكرية باعتباره القائد الأعلى (لم تكن له رتبة محددة) على حساب السلوك النضالي السائد بين أطر المقاومة وجيش التحرير. ولم يخف هؤلاء تخوفهم من المخابرات التابعة للقصر والمتمركزة بكثمين برعاية أفقيير والدليمي اللذين كانا يحاولان استقطاب بن حموا مستغلين ظاهرة أداء المراسم كنقطة ضعف لديه لجعلوا منها نقطة الالتقاء معه. وفيما نحن متجهان نحو "قم لحسن" بالسيارة سألته عن اتصالاته بعناصر من الجيش الملكي، وبالذات بمخابرات القصر، فصارحني بأنهم طلبوا منه تسهيل مهمة رئيس القسم الثاني بالجيش، القبطان النميشي، وطلبوا منه إعطائهم اللباس الخاص بجيش التحرير وشاراته، وتقديم مساعدات لهم للتسرب إلى صفوفه، مدعين أن لديهم معلومات مفادها أن نقاشا يجري داخل جيش التحرير لتحويله إلى جيش جمهوري، وأن الغاية من التسرب هو مراقبة جيش التحرير من الداخل والتأكد من سلامته. وأكد لي أنه رفض رفضا قاطعا أن يكون مطية لتجسس عملاء الاستعمار على المخلصين، ثم أضاف قائلا: انني أعرف النميشي جيدا، وإن كل الأوسمة التي يحملها على صدره استحقها من الفرنسيين مقابل جرائمه التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري (وقد أعدم الجنرال النميشي على يد الشهيد محمد اعابابو في أحداث الصخيرات في ١٠ يوليوز ١٩٧١). وتكررت محاولات استدراج بن حموا، لكن موقفه لم يتغير. فقد استدعاه مرة الغزالي مدير الأمن الوطني إلى بيته بمناسبة سفر محمد الخامس إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فوجد مولاي حفيظ العلوي (الجنرال حاليا، وزير القصور الملكية) الذي طلب منه باسم الحسن تقييرا عن جيش التحرير ليرفعه إلى محمد الخامس بأمريكا، وهو ذاهب إليه حاملا ملفات كل القضايا. فرفض بن حموا تسليم تقارير عن المناضلين إلى رجل مثل مولاي حفيظ العلوي الذي حطم أجهزة المذيع عندما كان باشا مدينة سطات في عهد الحماية لأن الناس كانوا يستمعون إلى إذاعة صوت العرب، وأن أعماله ما زالت تشهد على خيائته، فكيف يمكن إعطاء أسرار المناضلين لمثل هذا الشخص.

بداية التآمر على الصحراء وجيش التحرير

ذات يوم وجه الحسن دعوة إلى المهدي بنبركة ولي أنا لتناول الغداء في منزله بالسويس. وقد دار الحديث كله حول جيش التحرير والصحراء، فاقترح علينا السماح لبعض الضباط من الجيش الملكي للالتحاق بجيش التحرير من أجل تأطيره بالخبرة العسكرية المدربة والكفاءة. ففسألنا عن مدى استعداد الحكم لتحمل مسؤوليته فيما إذا وقع أحد هؤلاء الضباط بالاسر واعترف بهويته الحقيقية، بالإضافة إلى أن

كل الضباط الذين جاءوا من الجيش الفرنسي أو الإسباني يعتبرون معارفين، وهم بذلك ضباط فرنسيون أو إسبان، فهل من المعقول أن يطمئن الإنسان اليهم ليحاربوا قيادتهم الفرنسية أو الإسبانية؟ وقد منا له اقتراحين :

- (١) أخذ ضباط من جيش التحرير سابقا الموجودين بالجيش الملكي، ونحن على استعداد لاعطاء قائمة بأسمائهم.
- (٢) الاستفادة من معسكرات التدريب شريطة أن نعرف المسؤولين عن مراكز التدريب هذه.

وقد قبل الحسن بالاقتراحين، واقترح علينا أحد الضباط وهو النقيب حبيبي (الذي أعدم اثر الهجوم على القصر الملكي بالصخيرات) وكان مسوولا اذا ذاك عن مركز بن سليمان. وقد قبلناه بعد تركيته من طرف بعض الضباط بالجيش الملكي الذين كانوا يتطوعون خفية أثناء الليل للقيام بتنظيم عمليات الى جانب جيش التحرير ثم يعودون ليصبحوا في ثكناتهم ومن بينهم الشهيد النقيب الصقلي، وقد لعبوا دورا أساسيا في الهجوم على إيفني وتيليويين وباقي المراكز التي سقطت في أيدي جيش التحرير.

وتم استدعاء الضباط حبيبي الى قصر السويسي حيث التقينا به، ولا زلت أتذكر تلك اللحظة التي رأيت فيها حبيبي يقبل يد الحسن من الجهتين جاثيا على ركبتيه، ويدها وشفتاه ترتعشان.

ان معرفتي بحقيقة هدف الحسن من ارسال عناصر الى جيش التحرير هي التي جعلتني غير متحمس لقبول بعض العناصر قد تكون تابعة لمخابرات القصر. ومع ذلك كانت هناك اتصالات جارية مع الجيش أثبتت التجربة انها كانت مفيدة، خاصة على ساحة القتال، وبالذات في منطقة آيت باعمران، حيث هرب بعض الضباط الذخيرة التي وفروها من التدريبات العسكرية، بل هربوا حتى بعض الاسلحة، وكانت جذور هؤلاء الضباط تنتمي في الغالب الى طبقات شعبية حالت دون ولائهم للجيش الفرنسي ولا غيره، بخلاف من احترقوا قتل شعوبهم لغائدة مصالح طبقاتهم الاقطاعية وحلفائهم الاستعماريين.

وبالقدر الذي انعكست به نتائج الانتصارات التي حققها جيش التحرير بتعبئة الشعب المغربي واستعداده للدعم المالي بواسطة التبرعات التي نظمت على الصعيد الوطني كله، انعكست بالمقابل على القصر بالرعب ومحاولة التخلص من الاحراج. لقد كانت الخطوات التي اتخذها القصر بعد ذلك هي فتح باب التفاوض مع اسبانيا، اذ استدعت أنا وبين حمو من طرف الغزاوي، ولكن قبل ذهابنا اتصلت بالاخ المهدى بنبركة الذي أخبرني باستدعائه هو ايضا دون معرفة السبب. وبعد وصولنا نحن الثلاثة وجدنا امامنا عبد الكبير الفاسي وبطاقة الطائرة الى مدريد وحقيبة سفر بيده، وعلمنا انه موفد في مهمة للتفاوض مع الاسبانيين، وسيقترح حسب تعليمات

الحسن أن المغرب على استعداد لضمان مصالح اسبانيا فيما يتعلق بالصيد في المياه الإقليمية، وعلى استعداد لعقد حلف عسكري مقابل الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، وأنه على استعداد كذلك لايقات جميع عمليات جيش التحرير. وعندما لاحظ استنكارنا واستغرابنا لمبادرة غريبة كهذه، حاول تهدئتنا بقوله: ان الاستاذ علال الفاسي على استعداد لتقديم كل التنازلات المطلوبة مقابل الحصول على حبة رمل من الصحراء، لان المعاهدات والاتفاقيات يمكن الغاؤها، فاجبنا بعدم القبول بالتساهل في معالجة قضية من أخطر القضايا، ونحن لا نفهم اتخاذ مثل هذه الاجراءات التي تجعلنا دبلوماسيا دون مستوى قضايانا ودون مستوى قوتنا وهي في أوجها، وذكرت له انني قابلت مع الاخ عبد الرحمن اليوسفي بدار عباس القباج بهوارة الرائد الاسباني "كاساس" الحاكم العسكري لايفني قبل أن تكون قواتنا في وضعها الحالي، وقبل أن تتمكن من تطويق إيفني (وقد قتل "كاساس" أثناء الحصار وقيل أن طائرته سقطت في البحر) حيث كان يطلب منا فقط عدم تصفية الصداقة المغربية الإسبانية واستبدالها بالفرنسية، وان يؤخذ وضع الجنرال فرانكو بعين الاعتبار الذي يصعب عليه - حسب رأي "كاساس" - التساهل وعدم الحرص على الاحتفاظ بالاراضي الامبراطورية، وكان يعني بذلك عدم ربط الصحراء وإيفني بمدينتي سبتة ومليلية، وكان يريد معرفة مصير اتفاقية الصيد البحري، ويبدى تخوفه من انعكاس التخلي عن هذه الاراضي تحت الضغط على جزر الكناري والمستعمرات الإسبانية الاخرى. لقد كانت المبادرة اسبانية ونحن في مركز الضعف، ومع ذلك فان الاسبان لم يطلبوا ما تقدمونه لهم انتم اليوم على طبق من فضة. وانتهينا في الاخير الى الغاء سفر عبد الكبير الفاسي على أن نطرح الموضوع للنقاش داخل الحزب مع علال الفاسي، وبالتالي مع محمد الخامس.

ومن جهة أخرى اتصل بي بنعثمان حسينة من قدما جيش التحرير (عين فيما بعد عميدا للشرطة ليخبرني بأنه مطالب للوساطة بين جيش التحرير والاسبانيين من أجل اطلاق سراح المعتقلين لدى جيش التحرير، أو على الأقل اخبار اهاليهم بأنهم احياء، وتنظيم البريد بينهم وبين أسرهم. فوافقنا على ذلك، الا أننا تعرضنا لضغوط من أجل اطلاق سراحهم، فتسألنا عن سبب مبادرة المغرب الرسمي دون أن يكلف الاسبان أنفسهم أي عناء. وقد فهمنا ذلك فيما بعد حيث تتابعت الاحداث وبدأ الشروع في التمهيد لاقالة حكومة عبد الله ابراهيم التي طالبت بجلاء القوات الإسبانية تمهيدا للمطالبة بجلاء القوات الفرنسية، وقد كانت الحكومة الإسبانية على استعداد للجلاء الا ان مبعوثا من القصر طلب منها تأجيل الجلاء حتى لا يجد صعوبة في ترحيل الحكومة، فهو عازم على اقالتها خلال الايام القليلة القادمة. وقد تم ذلك فعلا، ونشرنا الخبر في جريدة التحرير بعد اقالة الحكومة.

ولتدعيم الجبهة الوطنية الداخلية عملنا على تكوين هيئة تضم عناصر من جيش التحرير والحزب والحكومة. وكى نقطع الطريق عن أساليب المناورات، مثل

الجانب الرسمي : محمد الخامس، الأمير الحسن، رئيس الحكومة، وزير الداخلية، مدير الأمن، ووزير الاقتصاد، وعن الحزب : علاء الفاسي والمهدي بنبركة، ومن جيش التحرير أنا وبنحمو، على أن تعقد هذه الهيئة اجتماعا كل شهر، وإذا دعت الضرورة لاسباب يراها جيش التحرير مهمة، عليها أن تعقد جلسات طارئة. ومع ذلك فإن شبكات التآمر على جيش التحرير ظلت مستمرة في تخريبها بترويج اشاعات عن النهب والخطف الذى يقوم به متطوعو جيش التحرير، وقد عينت جماعات في اقليم سوس خصيصا لترويج هذه الاشاعات. ونقلت القوات الاساسية في الجيش الملكي الى اقليم سوس، وسلمت قيادتها لعناصر المخابرات في الجيش الذين بدأوا، حسب التعليمات الموجهة اليهم، بربط اتصالات مع بعض أطر جيش التحرير لاغرائهم وتسهيل ادخال عناصر أخرى الى صفوف جيش التحرير. كما بدأوا في احصاء الاشخاص الذين يتعامل معهم جيشنا باقليم سوس لتأمين الحاجيات التموينية. وقد اشتروا ضمان بعض هؤلاء، فأصبحوا أثريا، بين عشية وضحاها، ويمكن احصاء عددهم بسهولة. ومن الوسائل التي اتبعت لتفكيك وحدة جيش التحرير، هي اغراء المتطوعين برتب عالية داخل الجيش الملكي لضمان مستقبلهم مقابل تقديم خدمات "بسيطة". وكمثال على ذلك أذكر الجندي ادريس العلوي الذى حاول افتعال مشاكل لا أساس لها، واكتشفت اللعبة، وظهر مدى تصميم عملاء الاستعمار لانقاذ اسيادهم، اذ ثبت أن المؤامرة خططت على نطاق واسع، وجي، بالصحافيين ومراسلي وكالات الانباء الى اقليم سوس لمشاهدة نتائج تلك المؤامرة، وأوعز لهؤلاء بتركيز الكتابة على فكرة واحدة وهي وجود قوتان متصارعتان في المغرب توشكان على الاصطدام : قوة الملك محمد الخامس من جهة، وقوة جيش التحرير من جهة أخرى التي بدأت تهدد مركزه، وبالإمكان الرجوع الى تلك الصحف وما كتبه في تلك الفترة، ولن يجد القارئ في ذلك أية كلمة عن المعارك التي خاضها ضد جيش الاستعمار في الصحراء. ومن بين الذين جندهم القصر الملكي لانجاز هذه المهمة محمد أوفقيير والدليمي.

وفي هذه الظروف التآمرية على جيش التحرير افتعل القصر حوادث تافياتل : اختيار عامل الاقليم المرحوم الضحية عدى أويهي لتفكيكها، كما ساهم فيها المرحوم الحسن اليوسي. وكانت عناصر الحوادث المفتعلة تدور حول انقاذ محمد الخامس من خطر حزب الاستقلال. ثم تلت تلك الاحداث اخطر منها وهي مأساة الريف التي راح ضحيتها اخوان أبريا. كل ذلك وغيره افتعل للتآمر على جيش التحرير والمهمة الملقاة على عاتقه، والتي جند الشعب المغربي كله لانجازها، عدا أولئك الذين تتنافى مصالحهم مع مصلحة الجماهير. واكتشفت بعد ذلك كل المؤامرة ومصدر خيوطها فانقلبت على مدبريها، وأصبح الشعب المغربي على بينة من كل ذلك.

ولاستدراج سكان الصحراء وشدهم الى عجلة التآمر تم زواج بنت دحمان، القائد المستقر بكلمين للسيد حرمة ولد بابانا، فاتخذت هذه المصاهرة كتغطية لزيارات

حرمة ولد بابانا لكلمين حيث يوجد أوفقيير والدليمي .
والتاريخ كفيلا بفضح كل المخططات الاستعمارية التي كانت تحاك مع القصر الملكي ضد جيش التحرير. ولا بأس من ذكر مثل على ذلك : فائنا، محاكمة باريس التي كانت تنظر في قضية اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة، جاء أستاذ فرنسي لادلا، بشهادته أمام المحكمة، وقد كان في السابق بكلمين، وهو المستشرق "فانسان مونتاي" الأستاذ المعروف، حيث كشف عن سر اغتيال الضابط الفرنسي "القبطان مورو" بالصحراء الذى اتهم جيش التحرير بتصفيته، ونظمت حملة صحفية مركزة علينا، مستغلة الصراع بين القصر وجيش التحرير وكأنها مسألة داخلية فرنسية تهدد أمنها وتتطلب تدخلها الفوري في المعركة. وقد أوضح الأستاذ "مونتاي" أثناء المحاكمة أن جيش التحرير لا علاقة له بتصفية الضابط "مورو".

وأود الإشارة في هذا المجال الى حادثة اختلقتها أجهزة القصر الملكي بين الضابط بجيش التحرير الشهيد الملازم مبارك منار الذى قتل بلغم بالصحراء، وهو من العناصر التي اختيرت في الجيش الملكي لتقوية جيش التحرير، حيث افتعلت أزمة بينه وبين الجنرال المدبوح الذى كان عاملا لاقليم وارزازات. فذهبت للاقليم لتطويق الازمة ولمعرفة اسبابها، وكانت مناسبة أخرى لمعرفة كل ما يحاك في الخفاء ضد تحرير الصحراء. وعندما عرضت "الازمة" على وزير الداخلية المرحوم ادريس المهدي، علق بقوله : ان هذه الاساليب خطيرة، ولا بد من اطلاع محمد الخامس علي الحقيقة كلها حتى يتحمل مسؤوليته كاملة". ولا أدري فيما اذا كان الوزير صادقا في كلامه، أم انه كان يمثل دورا مسرحيا أمانا، المهم أن اقتناعه بافتعال المشكلة واستهجانه للاستلوه الذى حيك به كان واضحا.

ومن أخطر هذه الاساليب على الاطلاق مضايقة الاخوة الجزائريين في تحركاتهم ونشاطهم باسم جيش التحرير لقطع الطريق على كل عمل من شأنه تقوية وحدة النضال، وبالتالي وحدة الشعبين الجزائري والمغربي التي كانت جبهة الصحراء أولى خطواتها. الا أن التآمر الاستعماري الاقطاعي عمل على افشالها. فبينما كنا نناقش مرة مع الاخوة الجزائريين التحرشات التي تعرضوا لها، اذا يجرس الهاتف يرن، وكان علي أن أجيب، فاستغل وزير الداخلية مسعود الشيقر الذى تولى منصب مدير الديوان الملكي بعد رجوع محمد الخامس، استغل غيابي ليقول للاخوة الجزائريين أن صاحب الجلالة يقع تحت ضغط جيش التحرير المغربي، لذا يجب عليهم دعمه في مواجهته.

ان ما حصل لهم من مضايقات كانت تستهدف في الحقيقة جيش التحرير، الا ان الروابط النضالية الصداقة التي كانت تربطنا بالاخوة الجزائريين جعلتهم يخبروني بذلك في اليوم التالي وهم على بينة من الهدف الذى يرمي اليه الحكم.

من الذى يمارس الحكم : حزب الاستقلال أم القصر؟

قررنا بعد تدهور الوضع عقد اجتماع مستعجل، وكان اجتماعا تاريخيا. فبينما نحن في استعراض الموقف الذى بدأ يندر بالخطر دون أن نحدد المسوءولين عن التأمر، اذا بالأخ بنحمو ينفجر داخل الجلسة ويواجه الامير الحسن، ثم يفضح كل مساوماته التي عرضها عليه لتصفية جيش التحرير وبالتالي قضية الصحرا. فبدأ محمد الخامس يهدئ من انفعاله قائلا له: لا واه، لا واه السي بن حمو، اذا أخطأ "سميت سيدنا" فعلينا أن نعالج الامور بالتالي هي أحسن. ("سميت سيدنا هو الاسم الذى ينادى به الامير الحسن داخل القصر تبعا للعادة الجارية لما سمي على اسم الحسن الاول جد محمد الخامس).

ولم تكن ننتظر من الاجتماع الخروج بنتائج محققة ولكن كان هدفنا هو كشف عمالة الحسن وتأمره على القضية الوطنية وعلى الثورة الجزائرية، ولم يكن الامر يتعلق بخطا شخص من الاشخاص، وانما كان الامر يتعلق بصراع لا يمكن أن ينتهي الا بزوال أحد الطرفين. وهكذا خرجنا من هذا الاجتماع الطارئ بعد أن ختمه بن حمو بكلمة قصيرة موجهة الى الحسن قائلا فيها: حاولت أن تجعل مني مطية تحمل عليها خونتك في الجيش والمخابرات، وأزكيهم أنا لمناضلي جيش التحرير. أحلف لك يايماني انني لن ألعب هذا الدور مهما كانت الظروف. وفي نفس الليلة سألني المحدثى عن امكانية حضوري الى بيت عبد الحميد الزموري عامل اقليم الدار البيضاء. فأبدت استعدادي، وكان الموضوع يتعلق بخطورة كلام بن حمو الذى قيل في الاجتماع السابق الذكر، ذلك الكلام الذى لم يكن ليحجروا على التفوه به لو لم أوعز له بذلك - حسب رأى المحدثى - لذا كان رأيي بعد لقائنا أن نتغذى نحن الثلاثة مع الامير الحسن يوم الجمعة. وتم ذلك بالفعل، فتوجه الي الحسن قائلا: انني حائري في امرك، ففضلك على العرش وعلى البلاد، وتضحيتك لا يقدران. وكان ذلك في الوقت الذى لم تعرف فيه المهدي بنبركة. وما يدعو للاستغراب هو أن تصبح تحت تأثير مثل هذا الشخص الذى لو عرفت ما يضره من شر للأسرة المالكة، لكان اخلاصك للعرش أن تصفيه، ولقاتلت بضاوة كما قاتلت بها الاستعمار بالامس. فأجبت أنه ما أعرفه عنه أنه أستاذك، وأنا عاجز عن فهم ما يحدث الآن، وما علمناه في الحزب أنك منظم في احدى خلاياه. فقال: ان ذلك غير صحيح اطلاقا، والذى حصل هو أن حزب الاستقلال كان يستغل ذلك لتوسيع جماهيريته، ولكي أبرهن لك على عدم صحة ذلك، أقول لك ان ابي اختار عدة أساتذة من كل الاحزاب: بوطالب من حزب الشورى، الرجرجاني من الاحرار المستقلين، وبنبركة من حزب الاستقلال بالرباط، ومحمد الفاسي من استقلال علال الفاسي. ثم أضاف قائلا: ينبغي أن تمر علي بالقيادة العليا للجيش لاوريك هويات أعضاء حزب الاستقلال من الذين انخرطوا في الجيش، وبالذات من المقاومين وجيش التحرير، سلموها الي عن طواعية

عندما اكتشفوا الزيف الذى لا زلت تعيشه رغم أن مستواك لا يقاس بمستوى أولئك الجنود والضباط الذين هم رفاقك. ثم اغتنم الفرصة ليشرح لي، أو على الاصح ليشرح أمامي كل الشخصيات القيادية بالحركة الوطنية وخصوصا حزب الاستقلال والنقابة. واقتتح كلامه بالقول: ان مثل هؤلاء الاشخاص لا يزعجونني، ولكن من يزعجني هم أولئك الذين لا زالت المدنية لم تروضهم، ولا زالوا على استعداد لافتراش الارض من جديد وركوب الاخطار، فسيان عندهم ركوب البغال أم ركوب السيارات. وسواء سكنوا "الفيلات" اليوم أو انتقلوا الى الغاية غدا، فعلي أن أحسب لمثل هؤلاء ألف حساب. وهكذا خرجنا من اللقاء بضرورة تنظيم لقاءات دورية أخرى بيننا نحن الثلاثة.

وبعد مغادرتي الرباط اتصلت بأبن حمو لآخبره بالاثار الذى تركه كلامه في نفس الحسن، وبالاجتماع المستعجل بدار الغزاي، واقترح علي الذهاب في الليلة التالية الى الرباط لزيارة المناضل الموريتاني المرحوم فال ولد عومير لانه في حالة نفسية سيئة يرثى لها بسبب التلاعب بالقضية المقدسة: تحرير الصحرا وموريتانيا.

وأثناء الزيارة حضر معنا كل الاخوة اللاجئين الموريتانيين باستثناء اثنين هما: حرمة ولد بابانا والدائ ولد سيدى بابا، فتناول المرحوم فال ولد عومير الحديث هادئا ومنفعلا في نفس الوقت ليعيد على مسامعنا ما عرض عليهم من خطط تتنافى كلها مع الغاية التي قدموا من أجلها للمغرب، وترمي كلها لتسخيرهم كمرتزقة لاعطاء المشروعات للمخططات التأمرية التي تعد في الخفاء، والسيد حرمة ضالع فيها وهو يتكلم باسم الجميع، وليست لهم أية وسيلة لاستنكار ما يجرى باسمهم لان المراجع العليا - حسب قوله - تسند الموقف عاما. ولم يصل الى ذلك استنتاجا، وانما معاينة مباشرة للامور جعلته يقتنع بأن الترتيبات تعد بجد لتصفية قضية التحرير التي من أجلها غادروا بلادهم. واختتم كلامه بقوله: يجرى الان تحضير لما يسمى بمو'تمر الصحراويين بالرباط خلال الاسابيع المقبلة وهم مطالبون بدعته، وهو ليس الا وسيلة لاعطاء المشروعات للاعمال التخريبية. وأن الذين سيحضرونه من كلمين هو القائد دحمان وصهره حرمة بدافع من المخابرات المغربية بكلمين. ويحاول حرمة جر علال الفاسي لتزكية المو'تمر، ونحن لا نستطيع أن نقول أى شيء، وكلما حاولنا الاتصال بشخص الا ونجد حرمة معنا ثم يقول الكلام باسمنا. وقد حدث ذلك مرارا بمراكز حزب الاستقلال. وكان رأى الاخ بن حمو هو أن نطرح الموضوع في الاجتماع الذى سيحضره محمد الخامس وابنه الحسن وعلال الفاسي، فأيد فال ولد عومير ذلك. وهكذا تم الاتفاق على معالجة الامور بالطريقة التي قد تقطع الدساس.

وفي الاجتماع طرح الموضوع كما رواه فال ولد عومير دون ذكر اسمه، وانتهينا الى أن هذا مجرد اجتماع لاناس لن يقرروا أى شيء، ولكن علينا أن نسمع وجهة نظرهم. ولما انكشفت خيوط المؤامرة ومدبروها، تم الوحي لضحايا اللعبة بعدم اثاره

أى موضوع .

وكان من الضروري أن نذهب مرة أخرى الى الجنوب لنرى المشاكل عن كثب، وعقدنا عدة جلسات عمل مع الاخوة المسؤولين هناك، وأطلعناهم في نفس الوقت على ما يحاك ضد قضية الصحراء ليتخذوا الاحتياطات اللازمة. لقد كانوا يجمعون بين الحزم والمرونة رغم تراكم المشاكل الاجتماعية لقبائل الصحراء عليهم، الشيء الذي استنزف الكثير من طاقاتهم، وكانت علامات التعب والاعيا ظاهرة على وجوههم بسبب قلة الراحة والعمل المتواصل. فعوض أن تصرف كل طاقتهم في العمل العسكى والسياسي لتدعيم الاختيار، كان عليهم كذلك صرف أكبر الجهود للتصدي لمثل هذه المؤامرات. وفي هذه الأثناء نظموا عملية بنرموكرين التي هزت الجيش الاستعماري بالصحراء كلها، فسربت المخابرات المغربية الخبر الى القوات الفرنسية، ونسب تنظيم العملية اليها. والحقيقة أن توقيت العملية مع حضورنا كان صدفة، وبسبب ذلك كانت ستتعرض سيارتنا ونحن في طريقنا من كليمين الى بوزاكارن ثم تيزنيت، الى عملية قصف بواسطة طائرة عسكرية، لو لم نغير أثناء السفر السيارة التي ركبناها من كليمين. ولا أعلم لحد الان هل توافرت المعلومات عند الاخوة المسؤولين في جيش التحرير بتنظيم عملية القصف مما جعلهم يقومون بتغيير السيارة أم أنهم قاموا بذلك احتياطاً. ومهما يكن، ركبنا سيارة أخرى في بوزاكارن، وما كدنا نصل قبيلة لخصاص حتى بدأت الطائرة العسكرية تحلق فوق رؤوسنا، وتقترب منا وكان أزيزها يهز السيارة الوحيدة بالطريق. وحسب معلومات القائد الممتاز بكليمين، وهو من المقاومين المخلصين، اننا كنا مستهدفين فعلاً من الجيش الفرنسي كانتقام لعملية بنرموكرين، وأن معلومات دقيقة أعطيت عن لون السيارة ورقمها، وأن تغيير السيارة هو الذي أفضل العملية.

بدأ جيش التحرير يعاني من المشاكل الداخلية الاجتماعية وقلة الذخيرة بسبب نشاطه المتزايد، وبسبب شكه في تصرفات بعض الضباط الذين التحقوا بصفوفه مثل صلال الفككي الذي اضطرهم لمراقبته شديدة، وكذلك شخص آخر يدعى عباس من المقاومة، اشتغل بمينا الدار البيضاء ثم ترك عمله ليلتحق بصفوف جيش التحرير كمتطوع مع أن وضعه العائلي لا يسمح له بذلك.

وفي إحدى الاجتماعات قدمنا مطالب اخواننا في جيش التحرير بعد أن قدمنا تقريراً عن وضعه وسير عملياته العسكرية وعن الوضع السياسي في الصحراء والجنوب، فأقرت تلك المطالب، واتفقنا على رفع مذكرة بواسطة بنرموكرين الى وزير الدفاع أحمد اليزيدي الذي ظل يماطل ويتنصل من تنفيذ ما طلب منه، فاستدعيناه لحضور اجتماع بدار المهدي بنبركة، وهنا اعتذر، وقال انه من الخطأ احوالة الموضوع عليه، لانه لا يستطيع تنفيذ ما طلب منه، بينما رئيس الاركان الحسن يحضر الاجتماع معكم وهو المنفذ والمقرر، أما الوزير فلا يستطيع اتخاذ قرار حتى في المسائل الادارية بالجيش. وهذه هي الحقيقة - حسب قول أحمد اليزيدي - وهو مجرد صورة، وأن قبوله بالوزارة

كان ضمن قبول الحزب بهذه الوضعية التي تجعل من كل وزير علاقته بالسلطة الفعلية مجرد صورة، مثل وزارة الداخلية، فهل يمكن القول أن السلطة كانت في يد مسعود الشكر أو المحمدى اللذين توليا وزارة الداخلية، وكل منهما ينتسب الى حزب الاستقلال؟ وهكذا بدأت الحقيقة تتضح للكثيرين، وبدأ السوءال يطرح نفسه وبالحاح: من الذى يحكم البلاد: الملك أم حزب الاستقلال؟

نظرياً، في الداخل والخارج، يعتقد أن الحزب هو الذى يحكم، ولكن عملياً القصر هو الذى يسيطر على مقاليد الامور. ومن الطبيعي أن تبقى المذكرة التي رفعها بنرموكرين اذراج وزارة الدفاع حتى مجي حكومة عبد الله ابراهيم التي كانت هي بدورها عاجزة عن تنفيذ متطلبات جيش التحرير بالصحراء.

لقد كانت الغاية من اعتقالنا أنا وعبد الرحمن اليوسفي هي تصفية جيش التحرير، وذلك ما تم فعلاً بعد خمسة أشهر من ادخالنا السجن، وتوجت العملية بأقالة حكومة عبد الله ابراهيم مباشرة.

(التمتة في العدد المقبل)



وقائع وأحداث تاريخية

بقلم الاخ محمد البصرى

نشرنا في العدد السابق، الجزء الاول من مذكرة الاخ محمد البصرى، التي حررها سنة ١٩٧٤، بصدد المرحلة التاريخية التي تلت الاستقلال الشكلي، وننشر في هذا العدد الجزء الثاني من هذه المذكرة:

من الغريب ان يؤخذ القادة امام أحداث روتينية في مظهرها، ولكنها تترك تأثيرا عميقا على الاحداث المصرية، ولا يفقد هؤلاء بصيصا من الامل يدفع بهم الى التواكل الذى أصبح علامة لقدرية غيبية تجاوزها العصر منذ زمن بعيد. هل يمكن تفسير ذلك بالطيبوبة وحسن النية نتيجة التثقيف السياسي، أو على الاصح الايديولوجي الذى لخص بالقسم الذى يعلق المواطن بواسطته انتماءه والتزامه، والذي يعطي الاسبقية لطاعة الملك على خدمة الشعب، فيقبل الانسان بضياح وطنه خوفا من اثاره مزاج الملك، أو من اجل خلق أسطورة يتمتعن على تقديسها تقليدا لاجدادنا في الجاهلية الذين صنعوا الاصنام وتمسكوا بها، حيث أصبحوا في النهاية أسرى لصنائعهم. ولا اعتقد انه من المبالغة تشبيه وضعنا بوضع أولئك الاجداد مع الفارق انهم استيقظوا ذات يوم، فاستعادوا ذاكرتهم وهم يضحكون من حالهم وغبائهم.

الاقطاع يحاول ترويض قادة الحركة الوطنية

وامام هذه الوضعية بدأنا نضغط على اللجنة التنفيذية لازالة الغموض السائد عند الجماهير والرأى العام الدولي، فاقترحنا انسحاب الحزب من الحكم وتركه كلية للملك ما دام هو الحاكم الحقيقي في البلاد. وقد تظاهرت اللجنة التنفيذية بموافقتها على اقتراحنا هذا، حيث اقترح البعض التخلي عن المناصب الوزارية وترك الشباب كفنيين، واقترح البعض الآخر ترك الاختيار للمسؤولين عن المناصب السياسية بين البقاء أو عدم البقاء، الخ... الا اننا الحننا على ضرورة الفضل في الموضوع والخروج بصيغة تحدد المسؤولية تحديدا دقيقا لا يترك مجالا للالتباس. وفي النهاية تشكل وفد حرصت فيه اللجنة التنفيذية على ان لا يضم عناصر لا تحظى بثقة الملك، لهذا

استبعد المهدي بشكل خاص. ومن بين أعضاء الوفد الحاج عمر بن عبد الجليل الذي أبلغ الملك بكثير من الخجل استحالة استمرار الحزب في تحمل مسؤولياته ما دام الغموض يسود حدود هذه المسؤوليات، مع عدم القبول بالمؤسسات الديمقراطية. وأما النتيجة التي توصل إليها الوفد مع القصر هي خروجه متأثرا إلى درجة يكى معها عمر بن عبد الجليل، إذ قال الملك للوفد: انني أشعر بنفس الوضعية التي عشتها مع المقيمين العاملين الفرنسيين الجنرال "جوان" و"كيوم" عندما كانا يمارسان الضغط علي، وانني ساحزم امتعتي وأغادر البلاد. فكان لهذا الكلام وقع في نفوس أعضاء الوفد، وكانت نتيجة مهمته الفشل.

ولما علم الحسن من خلال اجتماعاتنا أننا على اطلاع بكل دقائق الأمور وخلفياتها بدأ يبحث عن مصدر معلوماتنا، فاتجه ذهنه إلى القائد الممتاز بكليمين المرحوم عبد الرحمن الزيات، وهو من المقاومين البارزين اقترحناه للمنطقة، الأمر الذي زاد من تشكك الحسن، لذلك أعزلا وفقير والدليمي برفع تقرير عن عبد الرحمن الزيات للملك محمد الخامس بواسطة وزارة الداخلية. وعند وصول التقرير للقصر أثار ضجة مفتعلة تشابه تلك الضجة التي أثبتت حول المقاوم محمد منصور وهو عامل بإقليم الريف عندما احترق الشوا، ولم يكن تحضير طعام الاسرة المالكة في "المستوى الثلاثي" بها خلال زيارة محمد الخامس لكتامة لتدشين طريق الوحدة.

تم استدعائي شخصيا للديوان الملكي الذي أبلغني بوصول تقرير خطير عن طريق وزارة الداخلية حول تصرفات عبد الرحمن الزيات، وأن الملك لا يشك مطلقا في صحة محتوى ذلك التقرير اعتمادا على مصدره، فكان جوابي بأن المقاومة اقترحت عبد الرحمن الزيات في منصبه نظرا لخطورة موقع كليمن كباب للصحراء، ومصدر الخطورة هو العدو الخارجي. وباعتباره مقاوم، فنحن مسؤولون عن عمله بمقتضى قانون جمعية المقاومين الداخلي، لذا من حقها أن تساهم في التحقيق في كل قضايا منتسبها خصوصا وأن القانون الإداري لا يحتوي على مادة تحمي الموظف من التعسف، ولم ينجز بعد قانون الإصلاح الإداري. فالجمعية لا تبرئه ولكنها في نفس الوقت لا تستطيع ادانته. ثم سألت هل ساهم عامل الاقليم في تحضير التقرير؟ فكان الجواب أن وسائل الملك الخاصة هي التي أعدت التقرير، وكنت أعلم مدى تقدير العامل للزيات. في أول عهد حكومة عبد الله إبراهيم قرر محمد الخامس زيارة أكادير، فالح بعض الاخوة على ضرورة الحضور في الزيارة. وعندما كنا في كليمن بدار رئيس الدائرة عبد الرحمن الزيات حيث ينزل الملك وعائلته، خرجنا للساحة، فاذا بالحسن بصحبتى، ولا أدري كيف تم ذلك، فوقع بصر الصحفي الفرنسي "جان لاكوثير" علينا، وكانت تبدو عليه علامة الاستغراب، بسبب ما سمعه وقراه في الصحف الفرنسية التي نظمت حملة ضدى، تدعي فيها أنني أشكل خطرا وتهديدا حقيقيين على الملكية في المغرب. فسأل "لاكوتير" الحسن عن صحة ما كتب، فأجاب بالكلام الذى نشره الصحفي الفرنسي

في جريدة "لوموند" عندما حوكت بالاعدام من طرف الملك الحسن الثاني سنة ١٩٦٤ حيث ذكر بكلامه عندما قابلنا نحن الاثنين في كليمن.

ومما يبرز بشكل واضح تخلف القيادة عن القاعدة الشعبية حادثة بسيطة: أثناء احتفالاتنا بأكادير خلال زيارة محمد الخامس، بدأ مغني شعبي يردد أغنية شعبية يسخر فيها منا ومن الاحتفالات المقامة، ويتنبأ بمصيرنا إذ سنحصد الشوك، ويعاهد نفسه على أن لا يغني الا للشعب، لأنه يعرف ما يجرى من تحت، ويشيد بجيش التحرير ولكنه يخاف عليه من الذئاب... إلى غير ذلك من الكلمات التي كان يرددوها، وحينما علم أن من بين الحاضرين بعض الوزراء، التفت إلى الاخوة الذين نظموا السهرة باعتبارنا من المقاومة وجيش التحرير قائلا: يظهر أن الوادى جرفكم أيضا، ولكنهم طمانوه. أقام الحسن مركزا للاتصالات مع التجار الذين حصلوا على صفقات تجارية أو هدايا كرخص للنقل على الخطوط الكبرى مقابل الولاء التام، وتقديم خدمات تساعد على تفكيك جيش التحرير وتمييع الحركة الشعبية بالمنطقة، هذه الحركة التي أقامت السدود والمتاريس في وجه الجيش الفرنسي الاستعماري، حتى تفك الحصار الذى يحاول ضربه حول جيش التحرير وهو بالأراضي المحررة، وبالتالي يخفف من الهواجس التاريخية التي تسبب مصدرا لانزعاجه. فهو ما انفك يكرر دائما أن التغييرات التاريخية التي حصلت في المغرب والتي أنهت أغلب العروش جاءت من الجنوب. فالمرابطون والموحدون والسعديون، ومحاولة مولاى أحمد الهيبة ماء العينين كلها مبادرات أتت من الجنوب. ولربط التاريخي يضيف أن أغلب عناصر المقاومة وجيش التحرير من الجنوب، ثم يتساءل هل لفقر الجنوب أم للتعصب الديني فيه حيث يقترن التغيير دائما باستنكار المنكر؟ وهذا ما دفع به إلى استعجال تصفية جيش التحرير خوفا من أن يصبح نواة تساعد الخلفيات التاريخية على النمو. ومثل الحسن كممثل فرعون مع موسى، الذى لا يرى في قطع الطريق على الحلم المزعج غير تقتيل الذكور، فترى الحسن ينتقي كعمال لذلك الاقليم أشخاصا يجمعون صفة الشعوذة الدينية والتقاليد العسكرية، فكلما أمكن توافر الشرطين معا كان أحسن، ولعل أحسن مثل على ذلك هو الجنرال بلعربي والشيخ المكي الناصري.

وعندما انطلق الموكب الملكي عائدا من تافراوت، ركبت بسيارة صحبة المرحوم عبد الرحمن الزيات وأحد التجار الذى سألتني: هل صحيح ما يشترطه مدير التشريفات الملكية على التجار؟ قللت في أى موضوع، فليس لدى علم بأى شيء؟ فقال أن الكثير من التجار قدموا هدايا حسب ذوقهم الخاص، فاذا مدير التشريفات أو احد اعوانه يرفضها لان التشريفات لا تريد هدايا هي في حوزة الملك ثم استطرد يقول: هل هذا هو الشخص الذى رأيناه في القصر؟ هل هو على علم بما يجرى حوله؟ فعقب الزيات: لما تركت للعائلة الملكية بيتي بكليمين، رجعت مع أسرتي فلم أجد حتى الزينة الخاصة بزوجتي، فهل العائلة الملكية في حاجة إلى ذلك؟ وماذا يدفعها لذلك؟ هل تصرفات

الخدم؟ لا أحد يعرف. فرد التاجر: هذا الجراد، لا بد أن يكون ذلك من عمل الخدم فعلا، ولكن حتى الخدم، هل من المعقول أن يكونوا في حاجة لتلك الأشياء؟ هل أصابهم الجوع الى هذا الحد؟ هل أصبحنا نشك في كل المعتقدات التي نشأنا عليها ونحن في حزب الاستقلال؟ ثم تسأل المرحوم عبد الرحمن الزيات عن الغاية من هذه الزيارة، هل هي تصفية لجيش التحرير؟ فقلت له كيف عرفت ذلك؟ فقال: ان هناك تركيز علي من طرف المخابرات، وهم يضغطون علي لقطع جميع صلاتي بجيش التحرير وبكل اتجاه سياسي، وأن لا أعرف مستقبلا الا الملك، وهم على استعداد لرفع تقرير جديد يلغي التقرير الاول، ويرتبون لي لقاء مع الحسن ومع بعض رؤساء قبائل الصحراء بواسطة دحمان وابنه، وأن حرمة والخطيب عبد الكريم يلعبان ادوارا ماثلة بواسطة تجار طريق مديونة (السوسيون)، حيث يقومون بتسهيل الصفقات التجارية، كما تروج عناصر المخابرات اشاعات مفادها أن جيش التحرير أصبح بؤرة فاسدة، وأداة بيد المهدي بنبركة والبصري يهددان به الملك، وأنهما يعملان بجهد لربط حزب الاستقلال بمخططهما، ويستغلان الوضع الناشئ عن تولي عبد الله ابراهيم رئاسة الحكومة لتطويقه. وتطابقت هذه الصورة مع الصورة الماثلة التي تكونت لدينا من خلال اجتماعاتنا ومن خلال المعلومات الواردة علينا، الا أن جيش التحرير تغلب على هذه المؤامرات، وبأى مخطط اغراء الاشخاص بالفشل، اذ سارع كل واحد منهم الى اخبارنا وتنبيهنا من النشاط التآمري، وكان علينا السفر الى تارودانت حيث تقرر صلاة محمد الخامس هناك، وجرت العادة أن يصطف الوزراء وكبار الموظفين وكبار الشخصيات على الطريق التي يمر بها الملك لتحيته، فوقفت بين وزير الداخلية المرحوم ادريس المحمدي وقائد القوات الاحتياطية الجنرال حمو أمحزون (الذي اعدم بعد حادثة الصخيرات)، وكان بجانبني أيضا الاستاذ علي بركاش، المناضل المشهور بتعليقاته في جريدة العلم. فبدات اتحدث مع أمحزون الذي عين بعد رجوع محمد الخامس رئيس دائرة تاوانات، عن ذكرياتنا حيث التقينا أول مرة بتاوانات بعد الاحتكاك الذي وقع بينه وبين جيش التحرير بقيادة حجاج، حيث كنت بصحبة المهدي في جولة تفقدية لمراكز جيش التحرير في الريف وجباله. وهنا تدخلنا لازالة سوء التفاهم بين أمحزون وحجاج، فبقيت علاقاتي معه ودية منذ ذلك التاريخ. الا أن حديثنا انقطع بسبب ظهور الحسن، الذي كان عليه أن يلتحق بوالده للخروج معه لتادية صلاة الجمعة، وكان حمو أمحزون مكلفا بفرقة الحرس التي تودى التحية أثناء مرور الملك للمسجد، فالتفت الي بركاش قائلا: انه ذكي - يقصد الحسن - فاجبته أى ذكا، تقصد؟ اخاف أن يكون ذكاؤه منحرفا، ومن النوع المدمر، وكانت ملاحظتي مفاجئة لعلي بركاش لانه لم يكن على استعداد لتقبلها بعد. انها ملاحظة جاءت نتيجة التراكمات المختلفة منذ رجوع محمد الخامس، فاختلطت الصدمات العاطفية بالتقديرات السياسية وأصبح من الصعب معرفة أيهما الموجه. ولم يفت الاخ بركاش أن يذكر في سنة ١٩٦٥، اثر

خروجي من السجن بتلك المحادثة القصيرة، شارحا شعوره بتلك اللحظة، اذ كنت أحظى بتقديره - حسب كلامه - كشاب أدى لبلاده خدمة يصعب عليه تحديدها، لذا احز في نفسه أن امتثالا حقا على شخص سعى لان يكون أحد المقربين الي، بل كان يعتبر نفسه اخا لي، كما عبر عن ذلك أبوه محمد الخامس، ولكن لم يكن يتصور التطورات التي حصلت فيما بعد.

وخلال هذا الصراع نصحتني أحد الاخوة المسؤولين بالحزب بعدم اللجوء الى المجابهة المباشرة، وطرح الامور دفعة واحدة، وبصراحة محرجة وجارحة في كثير من الاحيان، ولكنني في الحقيقة اعترف بما يسمى بـ "أخلاق القرية" التي لازمتني وأصبحت جزءا من كياني المميز، حيث يصعب، ان لم يكن من المستحيل، التخلص منها. قد يكون ذلك مرضا ميكليا، وقد يكون رمزا صحيا يجب المحافظة عليه من أجل المحافظة على "أخلاق القرية". وهنا أتذكر عتاب والدي أحيانا مستعملا العبارة التالية: سبحان الله، تزول الجبال من أماكنها، ولا تزول الطباع من أهلها. وفي الحقيقة ان خطة الاقطاع كانت ولا زالت تستهدف تدجين الاشخاص، لذا أصبحت مرهف الحس ازا، كل ترويض لقناعتي ان الاقطاع لا يريد الا الترويض على طريقة ترويض الحيوانات التي عليها أن تتعود الاصطبل حتى تقتل كل ردود فعل عندها. فـ "الروى" (أى الاصطبل) اذن مرفوض، ومع ذلك يمكن القول أن حدة الطبع ومعالجة الامور بطريقة مزاجية وسهولة الانقياد لاسلوب العاطفة الاخوية هي عيوب لا بد من ازالتها.

اعتمادنا على الجماهير والاحكام الذاتية

بعد رجوعنا من الجنوب توصلت بتقرير مفصل من الاخوة في جيش التحرير، واجتمعت بالمحجوب والمهدي لتندارس المعلومات التي وصلتنا والتي تثبت وجود مؤامرة تحضر في الخفاء، وعلينا أن نحبطها بسرعة، فحضرنا للاجتماع الدوري الذي يضمنا كجماعة متحدة لحزب الاستقلال مع بعض أعضاء الحكومة، ثم اخبرنا كل المسامعين بجدول الاعمال الذي يتضمن موضوع تصفية تحرير الصحراء وجيش التحرير. ولاسباب عائلية خاصة تعذر على الشهيد المهدي حضور الاجتماع في الموعد المحدد بمنزل الاخ عبد الرحيم بوعبيد. كان موضوع الاجتماع هو كيف يمكن مساهمة حكومة عبد الله ابراهيم في تحرير الصحراء، ولكن للاسف لم نتوصل الى أى صيغة عملية، نظرا لتغلب الجانب الذاتي على الجانب الموضوعي. ولا بأس من الإشارة الى بعض الممارسات في فترة تعد حاسمة في استلام القصر كل المبادرات لتصفية المقاومة ثم جيش التحرير، واعتقال كل الاطر القيادية للمقاومة وتعذيبهم تعذيبا وحشيا، وقصف منطقة الريف قسفا لا زالت معالمه غير منسية، محاكمة الجريدة الناطقة باسم الحزب "التحرير" ومنع الحزب الشيوعي من مزاوله نشاطه السياسي، تمزيق وحدة العمال

النقابية بتأسيس نقابة موازية، كل هذه الاحداث جرت تحت مسؤولية حكومة عبد الله ابراهيم التي لم تبد أى اعتراض، بل لم تستطع حتى التبرؤ مما نسب اليها، حتى يكون الشعب المغربي والرأى العام الخارجي على بيئة من الاحداث التي يمر بها المغرب. ولم يتعد أعضاء الحكومة تسريب كلام خجول يدعي أن القصر يقوم بعملية استفزاز لارغام الحكومة على الاستقالة، دون أن يتحمل مسؤولية في ذلك، لذا يجب ضبط الاعصاب، وعدم الانسياق لردود الفعل التي من شأنها تسهيل مهمة القصر. فمجزات الحكومة الاقتصادية والاجتماعية، والمطالبة بالجملة، ستقلب الوضع كله ضد القصر الملكي، وسيظهر بمظهر المعرقل الخائن. لو حصلنا على النتائج المرجوة لكانت كافية لفصح القصر، ولكنه جمد كل القرارات والمشاريع بالديوان، ومعلوم أن توقيعه كان ضروريا لتلك المشاريع والقرارات حتى تدخل في حيز التنفيذ، وكما يقول المثل المغربي "اللي في رأس الجمل في رأس الجمالة". ولقد وقعت اضرابات ومظاهرات احتجاجا على اعتقالنا يوم ١٤ ديسمبر ١٩٥٩، فصدرت تعليمات من الحكومة للنقابة وعممت على الحزب بفك الاضراب بسرعة وايقاف التظاهرات لان ذلك يخدم مصالح القصر، وأن الاخوة المعتقلين متفهمين وموافقين على عدم اللجوء الى الاضراب. ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام موقف حكومة عبد الله ابراهيم.

إن المقصود ليس هو جعل القصر والحركة الوطنية في صف واحد، وإنما المقصد هو توضيح خطأ تقديرها لبعض المواقف الحاسمة، ثم اللقاء الضوئى على تخطيطات الحكم الاجرامية، والهدف في النهاية هو استعراض أخطائنا السابقة للاستفادة منها في الظروف الراهنة حتى لا نقع مرة أخرى في شباك الحكم. لقد كنا نملك من القوة والعطف الجماهيرى ما يجعلنا لا نرتكب هذا الخطا القاتل في حياتنا السياسية حيث اعتمدنا على الحزب الجماهيرى وتركنا الاهتمام بتنظيم تلك الجماهير وتحويلها الى طليعة حتى نستطيع توجيهها، فكانت تتساقط القوى الواحدة تلو الاخرى لانها لم تكن تملك الهيكل التنظيمي الذى يسمح لها بالتدخل لحسم الموقف لصالح الشعب، وكان شعورنا بالقوة ناتجا عن مؤسساتنا الجماهيرية الشعبية: الحزب بقيادة الشهيد المهدى بنبركة، الاتحاد المغربي للشغل بقيادة المحجوب بن الصديق، المقاومة وجيش التحرير، الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، المجالس البلدية والقروية، النقابات المهنية، تواجدنا في الحكومة، ولدينا صحافة مؤثرة وفعالة، ومع ذلك فقد خسرنا كل مواقعنا أمام ضربات وحملات الحكم المتواليه. نعم ان الجولة لم تنته بعد، وهذا لا يعني أن الحكم حسم الموقف لصالحه والى الابد، ولكن لا بد من الاعتراف بأخطائنا ونتائج تلك المعارك التي خضناها ضد الاستعمار والاقطاع حتى نتمكن من تقييم وضعنا الراهن ووضع خطة تدخل تلك في حساباتنا. وأما اشارتي الى الحساسية في العلاقات الشخصية، فان قصدى من ذلك هو محاولة تسليط الضوء على العنصر الذاتي كما قلت سابقا، واني آمل تجاوز ذاتياتنا وخاصة في العمل السياسي، ولنضالنا ضد الاقطاع

واسياده. هذه الذاتيات التي تختفي أو تبرز حسب اقترابنا وابتعادنا من الحكم، فيبدأ كل واحد يفلسف طموحاته الشخصية، ومفهومه للتحالف مع الحكم منذ أن كنا في حزب الاستقلال حتى ٣٠ يوليوز ١٩٧٢. ولتجاوز ذاتياتنا لا يكفي أن نقف موقفا اخلاقيا منها لان ذلك لا يعدو أن يكون "موعضتنا من فوق الجبل"، وإنما التنظيم والاختيار الاستراتيجي والعمل الديمقراطي والاعتماد على القوى الثورية هو الطريق السليم، ولن يتم ذلك دون مراجعة نقدية حازمة للمراحل السابقة.

تجربتي مع الاقطاع

يحز في النفس أن تسبق الرجعية لتجاوز تناقضاتها أو بعضا منها، حيث ان هذه التناقضات لم تمنعها في اللقاء الدورى بينها على شكل مؤتمرات القمم، بينما استمرت التناقضات الشكلية تمزق اليسار (ان صحت تسميتها عمليا بذلك، مع أنني لا أعتقد ذلك)، وتحجب عنه كل الرؤية الموضوعية. وفي تقديري ان الطاقات الثورية التي يمثلها اليسار كانت تمكنه من الحسم لو اهتمدى لصياغة تنظيمية واستراتيجية توحده، وكذلك ايجاد صيغة للتكامل بينه وبين مجموع الحركات الوطنية. ان ذلك يتطلب زيادة على هذه الرؤية، ترتيب التناقضات حسب الاسبقية، وفهم وتقدير المرحلة الموضوعية. فهل مفهوم العواطف والاخلاق هو المؤهل لقيادة المرحلة أم المفهوم العلمي والرفاعي.

والان بعد هذا الهمس الرفاعي والاخوى، أعود الى مرحلة ما بعد زيارة الملك لاقليم أكادير، وكيف كانت انعكاسات هذه الزيارة، والخلاصة التي استخلصها القصر، وكيف حاول ترجمتها في برنامج العمل. لم أذكر بالضبط كم مر من الايام على رجوع الملك من أكادير على مكالمة هاتفية من طرف وزير الداخلية ادريس المحمدى يطلب مني فيها باسم الحسن ترتيب لقاء معه، وسيكون اللقاء بمكتبته بالوزارة في الساعة الخامسة مساءً، ولكنه دعاني قبل ذلك الى منزله للغداء، وكنت أتصور أن ذلك سيكون تمهيدا للقاء تعرف الغاية منه، ولكن الحديث أثناء الغداء تناول الوضع العام، ولم أسأله عن الغاية من اللقاء، ولا هو فاتحنى في هذا الشأن. وبعد الموعد بحوالي ثلاثة ارباع ساعة، وكنت قد سبقت الموعد بربع ساعة، جاء الحسن. وبمجرد وصوله للمكتب أفرغ الوزير مقعده ليجلس عليه الامير، وخرج الوزير من المكتب وتركنا نحن الاثنين. راسا شرع الحسن في الحديث الذى بدأه بـ "أننا كعائلة مدينون لك بصفة خاصة - وهي عبارة سمعتها عدة مرات - وأن أبي يعتبرني أخالك، وكذلك أنا، وإذا سمحت لاسألك: لماذا رفضت المساهمة في الحكم بدلا من الاستقلال الى الان؟ مع أننا نعتبر أن الحكومة الحالية عقدتها مع القصر كانت بسببك، وليست مع رئيسها عبد الله ابراهيم. فهل تنتظر حكما آخر غيرنا لتساهم معه. وأضاف الامير قائلا: ان

هذه الظاهرة في الحقيقة، هي التي دفعت بوالدي ليوفدني اليك لا طرح معك موضوع المشاركة في الحكم، وذلك بأن اعرض عليك منصبا تاريخيا لا يشغله الا اخ الملك نظرا لخطورته، ولذلك فسيكون منصبك مرتبطا مباشرة مع الملك وليس مع الحكومة، والمنصب هو خليفة جلالة الملك باقليم الجنوب - سوس والصحراء - وسيكون لك الاشراف رسميا على جيش التحرير، وان فاتحتك انما خوفا من الرفض لو عرض عليك جلالة الملك هذا الامر، وبذلك تقع بمحذور، واذا رفض امر الملك معناه العصيان وعقوبة العصيان هي الاعدام، وبما ان مكانتك عندنا هي مكانة الابن بالنسبة لجلالة الملك والاخ بالنسبة للعائلة اثرناك واستثنيناك من تطبيق هذه القاعدة، ولكن في نفس الوقت حرصنا على ان لا تكون بادرة تعتبر سابقة ولو على النطاق العائلي، ولهذا فضلنا ان نجس النبض قبل التورط في المحذور. فان قبلت فسنعطي لعمالة الاقليم مكانة تتناسب ووضع خليفة جلالة الملك، وسوف نضع طائرة هليكوبتر رهن تصرفك باستمرار لتسهيل مهمتك، ونحن نعرف مكانتك الخاصة في الاقليم، وستريحنا من متاعب جيش التحرير، واؤكد ان المهمة ستتحصر في اطار علاقتك بالقصر لا غير.

هذا نقل حرفي لكلام الحسن. طبعا شكرته على الامتياز الذي طالما سمعته وفي عدة مناسبات، وان ذلك شرف اعتبر نفسي لا استحققه، ولكن يوسني ان اعتذر عن عدم قبول هذا الشرف. وانت شخصا سمو الامير، اشكرك اذا انتدبت نفسك لمنع ما تعتبره محظورا، ولاول مرة اسمعه. ان عرض مثل هذا الاقتراح لا يمكن ان يعتبر اقتراحا بل هو امر، وبالتالي يعتبر ابداء الرأي بالاقتراح عصيانا ورفضاً وعقوبة ما اعتبره ابداء الرأي والملاحظة واستعمال حق في ان ارفض ما لا يتلاءم مع وضعي ولاسباب معروفة بينما تعتبرونه رفضا وعصيانا يوجب الاعدام.

اجاب الحسن على ملاحظتي ب"ان تقاليد المخزن هي هذه". ثم انتقلنا لدرشة عامة في مختلف المواضيع، واهمها السؤال عن "ماذا كان في ذهني وانا اقاوم الفرنسيين، هل الملك ام غلال الفاسي؟" فاجبت بما سبق وقلت بان ما تعلمته من خلايا حزب الاستقلال ان الملك عضو في الحزب، ولهذا لم يكن واردا بذهني الا حزب الاستقلال والملك عضو فيه. فقال الحسن: الان وبعد ان تاكد لديك بالممارسة والاحتكاك، وبعد ان انفصلت عن حزب الاستقلال، فمن الذي يمنعك من ترك البور السياسية الموبوءة، واقول لك بصراحة انني عاجز عن فهم التأثير الذي يمارسه عليك اشخاص من امثال المهدي بنبركة، والحال انك تؤكد، وانا كذلك لدى اليقين من انك لم تعرف المهدي بنبركة بتاتا قبل عودة الملك من منفاه، فقلت ان الذي اتمناه هو ان توجد صيغة لتكامل امكانيات الشعب المغربي من اجل ان يلعب ويستكمل دوره في التحرير على غرار ما اداه هذا التكامل من دور في قهر الاستعمار. فتدليل عقبة التحرير لا تقل خطورة عن قهر الاستعمار.

تواعدنا على لقاء آخر كي نستمر في الحوار. وفعلنا لم تمر عدة ايام فقط حتى

دعيت للاجتماع معه في "فيلا السويسي" لتناول طعام الغداء، وعند وصولي وجدت القبطان الشرقاوي محمد، المرافق العسكري للحسن، ينتظرنني امام الفيلا واخبرني ان الاستاذ ادريس المحمدي لم يمض على وصوله سوى عدة ثواني. واثناء الغداء بدا الحديث من طرف الحسن، ولكن هذه المرة اظهر استعدادا لمساندة حكومة عبد الله ابراهيم شريطة ان يدخل هو شخصيا الحكومة ليستلم بها حقيبة وزارة الخارجية قائلا: ان الديبلوماسية تستهويني واعشقها، وانني اعددت العدة لها، ومن ذلك انني صرت اتقن اللغة الانجليزية في اقل من شهرين. واستطرد قائلا: انني تراهنت مع والدي محمد الخامس الذي تحداني بأنه يلزمني اكثر من ستة اشهر. فاجبته بأن الامر يعني رئيس الحكومة ولا دخل لي شخصيا بذلك. فرد الحسن علي قائلا: اذا اسندنا الحكومة لعبد الله ابراهيم، فالحقيقة اننا اسندناها اليك. وهنا تدخل وزير الداخلية قائلا: انه يلتزم معي بطرح ذلك على رئيس الحكومة، وأنه يعتقد ان رئيس الحكومة سيرحب بذلك، وبالعكس سيكون شرفا كبيرا لرئيس الحكومة والحكومة كلها ان يكون احد اعضائها "مون سينيور"، ولكن رئيس الحكومة كان يرى لذلك ابعادا غير التي عرضها الحسن من أن ذلك يعد دعما ومشاركة. وأترك الرأي في ذلك الى الاستاذ عبد الله ابراهيم عندما يرى اعلان ذلك مناسبا له. كما اقترح علي الحسن في هذه الجلسة استلام وسام المقاومة، فكان جوابي ان تشخيص المقاومة في شخصي غير صحيح، وانني على العكس اعتبر تشخيصها امانة لمجهود الشعب المغربي وكل المناضلين، ولذا اقترح تسليم الوسام باسم الجمعية ككل، وفي هذه الحالة فالاستاذ عبد الرحمن اليوسفي هو الذي يتسلم الوسام لانه رئيس الجمعية. اما الفكرة الاخرى التي جرى فيها الحوار ذلك اليوم هي السؤال عن الوضع المالي للجريدة، فقلت له ان الاستاذ المحمدي على علم تام بمشاكلها المالية، فتسأل: غريب كيف لا تساعد الحكومة جريدتها؟ وبعد ذلك اللقاء جاني وزير الداخلية بعشرين مليون فرنك قائلا انها من صندوقه الاسود الخاص بالداخلية، فقلت: اعتقد ان مصدرها ولي العهد، واقسم انها من صندوقه الخاص، فاجابني: اود انك لو عرفت وضعية ولي العهد المالية لحزنت، وكان ذلك مقدمة لتنظيم غداً بدار الاستاذ ادريس المحمدي ضمني انا والحسن ومولاي مصطفى العلوي.

كان ذلك يوم الجمعة، وكنت آخر من وصل لانني قدمت من الدار البيضاء، وهناك بالساحة الكبرى للمنزل وجدت سيارة من نوع "بورش" حمراء من طراز "سبورت" زيادة على سيارات الحاضرين التي أعرفها وأرقامها عادية، وما كدت انزل حتى استقبلني الاستاذ المحمدي وهمس في اذني بأن "هذه السيارة جاء بها الحسن هدية لك، فعليك ان تقبل الهدية"، واجبت في الحال بأن الهدايا الزمت نفسي بعدم قبولها، ولا فائدة من اللاحاح، وخوفا من صدم الامير، كما قال المحمدي، اقترح ان ياخذها مولاي مصطفى العلوي، فقلت هذا شأنك، وفعلنا اخذها مصطفى العلوي، ولا

أدري فيما إذا أخبر المسمى الحسن برفض الهدية أم لا، لكن من المحقق أنني لم أسمع من الحسن أي شيء عن السيارة في ذلك الغداء على الإطلاق. وكان مقرراً أن يكون هذا الغداء بداية لتناوب الأغذية بيننا نحن الثلاثة كل جمعة، فاعتذرت عندما سمعت الاقتراح، شارحاً بأنني غير مؤهل، وليس في استطاعتي أبداً إلزام نفسي بمثل هذا الاقتراح، فالح المسمى على أن أقبل، وسيتولى هونيابة عني إقامة الغداء حتى أتعود، فرفضت رفضاً قاطعاً أن أكون حلقة في هذا الموضوع. وأثير أثناء هذا اللقاء موضوع صفقة تجارية بكوبا تخص استيراد السكر، وليس موضوع تفاصيلها إلا لعدم إخراج الأطراف التي لها علاقة بهذا الموضوع، ولكن المهم أن الأستاذ المسمى اقترح بعد خروج الحسن، أن نكسب وده بحل المشاكل التي تحاصره بباريس، وأن والده موافق على كسبه بهذه الطريقة، وبقيّة الحكاية يعرفها المختصون، ولم يعد عندي أدنى شك في أن المعونة التي قدمت إلى جريدة "التحرير" وسيارة "بورش" وخطة اللقاءات والولائم كلها كانت تستهدف نوايا أخرى غير تبادل الآراء في المواضيع العامة السياسية والتحريرية وغير ذلك.

تواجد الحزب في السلطة ساعد على الاحتراق الداخلي

وتشأ الصدق أن تلعب دورها في خضم هذه الأحداث. ففي هذه الظروف، نشرت جريدة "فرانس أوبسيفاتور"، التي اعتقد أنها أصبحت "نوفيل أوبسيفاتور"، مقالاً عن الاقتطاع في المغرب تناولت فيه بالأخصاً أملاك العائلة المالكة، مبينة بالأرقام تقول أن العائلة الملكية هي أكبر عائلة اقتطاعية، ولذلك فهي قمة الهرم. وعلى ما أذكره كذلك أنها ربطت وضع الملك بالمقارنة مع وضع شاه إيران عندما اصطدم بحكومة الدكتور مصدق في أوائل الخمسينات، واضطر إلى توزيع أراضيها الزراعية أو البعض منها ليمتص نقمة الجماهير عليه، ولكنها لاحظت أنه إذا كان شاه إيران استطاع تهدئة الوضع بهذه العملية، فإن ذلك لم يكلفه أية خسارة، بل على العكس، فإن عائدات البترول لا يمكن أن تقاس بما فقدته بتوزيع تلك الأراضي، وانتهت الجريدة بخلاصة أن العائلة المالكة بالمغرب يصعب عليها أن تقوم بمثل هذه العملية الشاهنشاهية التي يمكن أن تنهيهما. فترجمت جريدة التحرير هذا المقال، وما كادت الجريدة توزع حتى قامت قيادة القصر ولم تقعد بعد ذلك بالنسبة لجريدة "التحرير" وأسررتها جيش التحرير إلى الآن. وفي ذلك اليوم تلقى لي رئيس الحكومة الأستاذ عبد الله إبراهيم ليبلغني أن الحسن يرغب في الاتصال بي، فاتفقنا على اللقاء بدار رئيس الحكومة والتي هي دار وزير الخارجية، على الساعة الخامسة مساءً من نفس اليوم، وقد لغت نظري وصول الحسن في الموعد المحدد بالضبط، بينما رئيس الحكومة لا زال لم يصل، ولم يغادر مكتبه إلا بعد الاتصال به من المنزل. ورأساً بدأ الأمير في الحديث

مظهرها امتعاض صاحب الجلالة من المقال الذي كنا نتصور جميعاً أنك لن تكون الأول في توجيهه مثل تلك الضربة الموجعة: "ظلم ذوي القربى أشد مضاضة". وقد استشهد بهذا البيت ليعبر على أن الضربة لم يكن يحتمل وقوعها. وكان جوابي أن المقال كتبه صديق وفي للمغرب برهن على ذلك أيام الاحتلال الفرنسي حيث وقف ضد بلاده مندداً بها كبلد استعماري ولم يفتأ يكتب لصالح المغرب، بل ساهم مساهمة إيجابية حتى بالنسبة لبعض المنظمات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أعتقد أننا لا ينبغي أن نخاف مما يقال عنا ولو كان يخالف رأينا، لأن من شأن ذلك أن يساهم في رؤية أنفسنا بالروية النقدية، فأجاب الحسن بشكل حاد أن "كلود بوردي" ليس صديقاً سوى للمحبوب بن الصديق والمهدى بنبركة، وما قدمه من خدمات إنما قدمها لهؤلاء الأشخاص وليس للمغرب. كان يشير بذلك إلى الدور الذي لعبه هذا الصحفي وزوجته في مساندة الاتحاد المغربي للشغل عندما أعلن عن تأسيسه سنة ١٩٥٥، بشارع الغدا (شارع السويس سابقاً) بالدار البيضاء تحت حماية سدسات ورشاشات المقاومة. واستمر الحسن في حديثه مقترحاً علي أن أذهب صباحاً في الساعة التاسعة إلى القصر الملكي بالدار البيضاء حيث ساجد الرائد محمد أوفقي، وعندما يستأذن الملك محمد الخامس بمقابلتي، فلا شك أنه سيفصح عني، واستطرد قائلاً: سيأذن لك بالدخول وحالما تحظى بالمثل بين يديه، عليك أن تتقدم معلناً عن اعتذارك على ما حصل، طالباً في نفس الوقت عطفه الأبوي عليك، والتفت الحسن إلى الأستاذ عبد الله إبراهيم طالباً تأييده والموافقة على الاقتراح، ولم أعمل سوى إعادة رأيي السابق، سواءً بالمقال أو كاتبه، وطبعاً لم أذهب للقصر من أجل تنفيذ ما طلب مني، ولا قابلت الكومندار أوفقي بالدار البيضاء.

وفي سبتمبر ١٩٥٩، انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية ومباشرة جاني الأستاذ إدريس المسمى وزير الداخلية، ليبلغني استيافاً القصر البالغ من دخولي في هذه اللعبة القدرة المعادية للقصر. فسألت عن سبب انزعاج الملك من عملية تجميع وتوحيد القوات؟ فقال أنه لا يستطيع أن يتصور كيف أنت، محمد البصري، تجلس مع الأساتذة أحمد بنسودة وعبد الهادي بوطالب اللذان ينتميان لحزب الشورى المعادي للملكية، والذي كان يفضل التعاون مع الفرنسيين لتطوير المغرب في اتجاه نظام جمهوري. فقلت ألم يكن الأستاذ بوطالب أستاذ الحسن؟ ثم ألم يكن هو؟ جميعاً مشتركين في حكومة التفاوض من أجل الاستقلال؟ فماذا جرى بعد هذا كله؟ أجابني قائلاً: أنك تتجاهل، فقلت له: أنك تعرف أنني لم أعش الحياة السياسية إلى حد فهم دواخلها وأسرارها، فانا أخذ ظواهر الأشياء فقط، وهذه الظواهر كلها عكس ما أسمع منك الآن. فقال لي: لا بد أن تدرس المرحلة التي لم تساهم فيها كمسؤول لتعرف دواخلها.

وفي أعقاب تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في سبتمبر ١٩٥٩، انعقد

مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب باقليم أكادير، وكان الهدف من عقده هناك يدخل في اطار التعبئة لجيش التحرير. وفعلا وقع الاتصال بين المؤتمرين وبعض العناصر القيادية من جيش التحرير، وخرج المؤتمرون بالمقارنة بين ما يقوم به جيش التحرير، والدور التخريبي الذي تقوم به عناصر المخابرات المستقرة لهذا الغرض بكلمتين، كما ألمحنا بذلك سابقا، وانعكس ذلك في توصيات المؤتمر، وعبر المؤتمرون عن أملهم في أن يساهم الجيش الملكي في حماية الوطن ويكون مدرسة تربية وطنية، وليس جيش قمع، ولا جيش استعراضات على حساب ارهاق كاهل المواطن العادي بالضرائب، وعلى حساب تنمية البلاد.

هذا بالتقريب فحوى التوصية التي خرج بها المؤتمر الطلابي، وبمجرد صدور التوصيات أملاها أحد المناضلين هاتفيا من أكادير لجريدة "التحرير". وما كادت تصدر بالجريدة حتى استنفر الجيش بشكل افتعالي بدعوى حماية شرفه وكرامته ومعنويته التي طغنت حتى العظم. فاستدعى الملك مباشرة كلا من وزير الداخلية ووزير الدفاع ليصدر تعليماته برفع دعوى قضائية ضد كمدير لجريدة "التحرير"، بتهمة الطعن في كرامة الجيش. وحسب رئيس الحكومة انه لم يؤخذ برأيه في ذلك، ولا طرحت المسألة بمجلس الوزراء. في هذه الاثناء أصبح بالامكان الجزم بأن الهدف هو شحن الجيش الملكي بالحق وتعبئته استعدادا لاستعماله في الصدام مع جيش التحرير بعدما استنفذت كل المناورات السابقة وأصبحت عملية الاصطدام حتمية في نهاية المطاف. لقد كانت في الحقيقة، المرة الثانية التي استغلت فيها هذه الطريقة من طرف الحسن لحفر الهوة بين الجيش والشعب. كانت المرة الاولى هي تلك التي طالب فيها حزب الاستقلال بالنظر في قضية الخونة ومحاکمتهم، اذ ذاك استغل هذا المطلب لاقالة ضباط الجيش الذين كانوا تحت خدمة الجيش الفرنسي والاسباني، من قبل القصر. ان المقصود بالقرار هو انتم وآباؤكم باعتبارهم اقطاعيين تعاونوا مع الاستعمار الفرنسي، وأصبح الشعار آنذاك، انه لولا حماية بذلاتهم كضباط بالجيش الملكي لذبحهم حزب الاستقلال والمقاومة وجيش التحرير. وتظاهر القصر بالاذعان لمطلب حزب الاستقلال، وشكلت لجنة مختارة لذلك، وكان من جملة المقترحين انا والمرحوم الفقيد شيخ الاسلام بلعربي العلوي. وعندما حضرنا بالجلسة الاولى همس شيخ الاسلام رحمه الله في أذني: ان هذه اللعبة يجب أن ننفض ايدينا منها، اذ يجب أن تكون لدينا من المعلومات ما يكفي، وبرر موقفه بأن الهدف من هذه العملية هو اظهارنا كناقمين وحاquدين على كل من لا يشاطر حزب الاستقلال والمقاومة، ويسايرهما في أفكارهما، وسيظهر القصر كمنقذ وأب يحمي المواطنين من التسلط، ولذا يقول الفقيه: أنصحك بالانسحاب من هذه اللعبة وسأبقى انا من أجل سل الشوكة بدون دم، واختتم رحمه الله كلامه بكلام الشاعر الجاهلي: سيأتيك بالاخبار من لم تزود.

عندما حددت المحكمة تاريخ بدء جلساتها للنظر في قضيتي، صودف أن كنت

ضمن وفد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي مثل الحزب في مؤتمر الحزب الديمقراطي الغيني بكوناكري، والذي انعقد بمناسبة الذكرى الاولى لاستقلال غينيا من الاستعمار الفرنسي. وهناك وصلتني برقية بضرورة الرجوع للمغرب قصد المثل امام المحكمة، ولقد وجدت الاخوة المحامين قد حضروا دراسات الملف عند عودتي. كان المدعي العام في هذه القضية هو الاستاد الحاج علي، وهو جزائري، الذي كان لتكليفه بهذا الدور مغزى خاص، خصوصا وانه معروف بعلاقته مع الثورة الجزائرية، وقد شغل فيما بعد منصب الكاتب العام للحكومة الجزائرية، كما كان هناك مغزى بالنسبة لتعيين الاستاد محمد الفاسي رئيسا للمحكمة، وهو معروف بانتمائه لحزب الشورى والاستقلال سابقا، والذي اندمج في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في اعقاب المؤتمر التأسيسي للاتحاد كما اشرت سابقا.

هذه كلها حلقات مدروسة بعناية. فباسم حكومتنا رفعت الدعوى ضد. ان الحكومة اذن، تحاكم جريدتها وحزبها، وعلى المناضلين في القاعدة والجماهير ان يجتهدوا في حل تلك الفصول المسرحية، ووضعهم امام الاختيار دفعة واحدة، ومادا عليهم ان يختاروا وسط هذا الغموض؟ ان المناضلين يجدون انفسهم في وضعية لا يحسدون عليها. فهم مجندون في طول البلاد وعرضها للإشادة بالحكومة الشعبية التقدمية. أولا: دافعوا لتبرئة الحكومة من مسؤولية مجازر الريف التي دبح فيها المواطنون كالكباش، وانتهكت الاعراض، لكون الحكومة لا قوة لها في كل ما جرى، بالرغم من أن الاداعة تعلن يوميا، وكذلك الجرائد أن الحكومة سحقت المتمردين وأعدت الاستقرار للبلاد.

ثانيا: دافعوا لتبرئة الحكومة من عملية منع الحزب الشيوعي من مزاوله نشاطه السياسي، حيث قدم قرار المحكمة كحكم صدر لفائدة الحكومة التقدمية الشعبية... والان في هذه المرة الثالثة ماذا يقول هؤلاء البوسا... وتتابع الأحداث على هذه التوتيرة، واذا لم تخنني الذاكرة، فان اسبوع المحاكمة نفسه هو الذي ذهبت فيه انا والاستاد احمد بنسودة، مدير الديوان الملكي فيما بعد، الى اقليم بني ملال للحضور في اجتماع عقد هناك لشرح الاهداف التي قام الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لتحقيقها. وقد سبقتنا هناك تعليمات تقضي بالقيام بالاستفزازات من طرف اجهزة الامن بواسطة عملاء اعطيت لهم تعليمات محددة لبثها وسط المجتمعين تودي الى تخريب الاجتماع وبث الفوضى، وعندما تحدث هذه الفوضى، يقومون بالهجوم علينا لكون القاعدة اغتالظت وشعرت بأن الحزب خرج عن الخط الموالي للملك، ولكن بفضل نزاهة السلطة في مجموعها بالاقليم آنذاك، بعثت واحدا منها ليعترضنا في الطريق قبل الوصول الى الاجتماع لاختبارنا بما سوف يحصل. فقصمنا المضي وفق التحضير الذي أعدته الكتابة الاقليمية لهذا الاجتماع، ولسوء حظ المخططين، ان احدا من هؤلاء المندسين ما فتى يشرع في محاولته حتى أخذه المنظمين والساھرين على الاجتماع،

وسارت الامور على ما يرام . وبالنسبة لي ، أنا الذى عرفت هذا الاقليم وأبناءه عن كثب لم تكن يقطعة مناظلي هذا الاقليم الاشواش مفاجأة لي ، فقد كانوا في كل الظروف والمراحل التي مرت منها الحركة الوطنية في مستوى المسؤولية سواء كان النضال سياسيا او ثوريا .

وفي هذه المرة كذلك ، ظاهريا كانت حكومتنا هي المسؤولية عن تنظيم المؤامرة ضد حزبها . وفي اجتماع آخر لنفس الهدف ، سافرت صحبة الاستاذ عبد الرحمن اليوسفي الى طنجة ، وما كدنا نفرغ من الاجتماع مع المسؤولين ليليا حتى اتصلنا بالدار البيضاء هاتفيا لنستفسر عن سير جريدة "التحرير" ، فاذا بأسرة التحرير تخبرنا بأن الجريدة مصادرة من طرف الشرطة بأوامر صدرت اليها من الجهات العليا . وفي الصباح الباكر غادرنا طنجة عائدين الى الدار البيضاء ، وتوقفنا بالرباط عند المرحوم الشهيد المهدي بن بركة لنعرف السبب من جهة ، ومن جهة أخرى كان هناك للاجتماع بوزارة الداخلية في مكتبه . طلبت الى الوزير لقاء الحسن في أمر يهم جيش التحرير على الساعة الثانية عشر زوالا ، ولكن عندما ذهبت للموعد وجدت مدير الشؤون السياسية مولاي مصطفى العلوي يعتذر لي باسم الوزير قائلا أن اجتماعا وزاريا طارئا برئاسة الملك منعقد الآن ، حيث استدعي الوزراء على غير توقع لحضوره ، ولذلك فهو يعتذر ، ولا شك كذلك أن ولي العهد بدوره يحضر الاجتماع ، من غير أن يعرف عنه أى شيء بالضبط ، ولكنه يعتقد انه لا يمكن أن يأتي للموعد الذى كان مقررا أن يحضره بجانب الحسن . وبينما نحن في منزل الشهيد المهدي فاذا الاخبار تفيد أن الهدف من الاجتماع هو موضوع أخذ الموقف بشأن ما كتبه جريدة التحرير ، وأن المجلس الوزاري رفع الدعوى على الجريدة . وبوصلنا الى الدار البيضاء لمقر الجريدة تم الالتحاق بمنزلي فاذا بمجموعة من الشرطة تطلبني لمرافقتها من غير أن تقول أى شيء عن هذا الاجراء ، ونقلتنا نحن الاثنين ، أنا والاخ اليوسفي للرباط وبتنا بالسجن ، وفي صباح اليوم التالي نقل الاستاذ اليوسفي للمستشفى نظرا لحالته الصحية حيث مكث ما يقارب من خمسة عشر يوما ثم اطلق سراحه . وبدى معي التحقيق في التهمة التي سببتها عبارة "الحكومة مسؤولة أمام الشعب" ، لان ذلك يعد تهجما على "صاحب الجلالة" . وعرفنا بعد ذلك أن الملك ألقى سؤالا كذلك بهذا الشأن على رئيس الحكومة سائلا اياه : هل أنت مسؤول أمامي أم أمام شيء آخر غيري ؟ ولكن سرعان ما عرف من اوساط المحكمة وبواسطة المحامين وادارة السجن ان الغاية الحقيقية من سجنني هي التمهيد لتصفية جيش التحرير ، وأن المحاكمة مجرد حادثة عابرة ، وأنني سأخرج بعد هذه التصفية التي يشكل وجودي خارج السجن عائنا طالما عاق كل المحاولات المتكررة . وهكذا كان ، اذ لم يمض على اعتقالني أكثر من شهرين حتى اعتقلت نخبة من خيرة المقاومين والاطر الصلبة بجيش التحرير بدعوى التآمر على حياة ولي العهد ، وعذبوا تعذيبا يهون عند المقارنة التعذيب الذى لاقاه أغلبهم على يد الاستعمار الفرنسي . ولو سمحت الظروف

للمقاوم محمد منصور ليكتب مقارنة التعذيب من طرف الاستعمار الفرنسي مع التعذيب من طرف "الحكم الوطني" ، لكان كافيا لمعرفة هل ما حدث كان افظع من السابق أم هو خلاف ذلك ؟ . وتلى ذلك أيضا اغتيال مجموعة أخرى بمراكش باسم محاولة التمرد على السلطة ، وهذه المجموعة تشكل أبرز المقاومين باقليم مراكش منهم الشهداء محمد بركاتو ، مولاي الشافعي ، البشير المطاعي ، الحسن الروداني . ووصلت البشاعة أن هزت ضمير الفقيه شيخ الاسلام بلعربي العلوي ، فقدم استقالته وهو وزير بمجلس التاج احتجاجا على اعتقال من حرروا البلاد من الاستعمار ، وتعذيبهم والتآمر عليهم وعلى البلاد جميعا . اذ ذاك أمكن تطويق جيش التحرير ودعوته للاستسلام ودمج من أراد باطار الجيش الملكي .

وكاستنكار لهذه البشاعة كذلك وقعت ردود فعل في كل المدن باضرابات عمالية وطلابية وتجارية . ولكن كما سبق ، كان رأى الحكومة تعميم التعليمات للمناضلين "أن يتمسكوا بالهدوء" ، وأن يتروكوا التآمر الذى يستهدف التخلص من الاجراءات التي تسببها الحكومة للقصر بمنجزاتها الاقتصادية والاجتماعية" كما أسلفنا القول . وحدث رد فعل آخر باقليم بني ملال ، وهو ما عرف بقضية المناضلين القائد البشير التهامي الزموري والقائد محمد بن حمو ، كما حدثت ردود فعل أخرى اغتيل فيها عميد الشرطة وشرطيون آخرون .

وبعد هذه التصفيات جاء دور النقابة ، حيث وضع على الحكومة طلب بتشكيل نقابة باسم الاتحاد العام للشغالين ، وحاولت الحكومة عبثا رفض الطلب باسم صيانة وحدة الطبقة العاملة ، ولكن الحسن الح على تطبيق القانون الذى يضمن الحرية ومنه حرية تأسيس الجمعيات والاحزاب . فوقعت مشادة حسب اقوال بعض المصادر التابعة للحكومة ، ولكن ذلك لم يمنع من تجمع تلك النقابة تحت حماية سلطات الامن التي تحمي حرية الاجتماع ، وتم بعد ذلك هدم القلاع الواحدة تلو الاخرى ، ولم ينفع ضبط اعصاب المناضلين بعد ذلك ، وفي النهاية اقيمت الحكومة التقدمية الشعبية .

وكانت خاتمة مأساوية حقا ، انهزمت فيها الخطة التي تعتمد الاخلاق مجرد اخلاق امام برنامج خطة تعتمد الميكانيكية والتآمر . وأتمنى لو أتيحت لنا الفرصة جميعا ، كل اولئك الذين عاشوا هذه الفترة وكانوا ضحايا لها ، لاستخلاص العبرة منها بعد تجميع كل المعلومات ، الناتجة من الذاكرة والمذكرات . وبذلك يمكن صب تجربة قاسية ولكنها غنية ، في قالب موحد تصل الماضي بالحاضر .

بعد اقالة الحكومة مباشرة صدر العفو على المقاومين وجيش التحرير . ورغم ان اللعبة كانت مكشوفة أريد منها الباس الحكومة كل نتائج الممارسات السيئة ، وظهر الملك بمناسبة المنفذ من الطفاني المتسلط على رقاب البلاد والعباد ، ولكنه مع ذلك كان مخطئا ناجحا وأدى كل مرامييه المرسومة له ، ولم يقتصر هذا العفو على المقاومين وجيش التحرير بل صدر العفو أيضا في حق المعتقلين بأحداث الريف التي

أشرف فيها الحسن على التنكيل بسكان المنطقة في بداية تاليف حكومة عبد الله إبراهيم، طمعا في اظهار الملك بمظهر الملك المنقذ والاب الرحيم الحنون . كما أطلق سراح من تورطوا في لعبة القصر باقليم تافيلالت وزمور (المتوردون على سلطة حزب الاستقلال، تلك المسرحية المعروفة بقضية عدى أوبيهي) .

الصراع على السلطة داخل القصر وضياح الصحراء

ولم يبق أمام الحسن أى عائق ليستولي على السلطة مباشرة وبكيفية كاملة سوى أبوه محمد الخامس، وقد كان يمارس في الحكومة التي شكلها أبوه نائبا لرئيس الحكومة .

وسنأتي هنا على بعض الوقائع عن هذه المرحلة كعنوان فقط لمصير محمد الخامس، بعد تسعة أشهر فقط من سلسلة التصفيات التي أنجزها الحسن تحت ستار أبيه . وتمثل ذلك أول ما تمثل، بالمجلس الوزاري الذي طرح فيه موضوع الجلاء عندما نظم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مظاهرات تطالب بالجلاء . وهنا احتدم النقاش بين محمد الخامس وابنه الحسن . كان الملك محرجا ويريد الجلاء، فإذا بالحسن يفاجئ مجلس الوزراء كله وعلى رأسه أبوه مخاطبا إياه :

"أنك إذا كنت تعتقد أنك ستحتفظ بعرشك بالعداء ضد الفرنسيين والغرب بصفة عامة، فهذا منتهى الوهم . وعلينا أن ننتهي من الاوهام والاحلام " . وهذا كلام مسجل في محضر الجلسات الوزارية، ورواه تقريرا كل الوزراء الذين شهدوا تلك الجلسة التاريخية . كما روى هو'لا' الوزراء أيضا، أن محمد الخامس عبر عن اندهائه من وقاحة ابنه قائلا : "انني ماكنت أظن أننا وصلنا لهذا الحد " .

وكانت الصدمة الثانية لمحمد الخامس ورئيس الحكومة، عندما أعلنت موريتانيا دولة مستقلة، وأقدام تونس على الاعتراف بها كأول دولة عربية تخطو هذه الخطوة . وعندما أقيمت الصلوات في كل مساجد المغرب تستنكر اعطاء الاستقلال لموريتانيا كدولة مستقلة، والتنديد بموقف الرئيس الحبيب بورقيبة الذي خالف الاخوة وتنكر لها على صعيد المغرب العربي وكذلك على الصعيد العربي . وفي خضم هذه المشاكل السياسية والعائلية والمرض التي نزلت على محمد الخامس دفعة واحدة، وهي أمور لم يعدها من قبل عندما كان يمارس الاعتراض على أشياء حضرت ودرست بواسطة قيادة مسؤولية سياسيا، في هذا الخضم أضيف عب' الكونغو الذي تهاوى فيه نجم من المع النجوم التقدمية : الرئيس باتريس لومومبا، تحت حماية أكبر مسؤول على جيش الأمم المتحدة هناك الجنرال الكتاني . وقد كانت تفاصيل الحادث اذ ذاك على صفحات جريدة التحرير مثار تعليقات مثيرة . ومسؤولية الجيش المغربي في اغتيال الشهيد لومومبا كانت متناولة من عدة جهات اجنبية ذهبت لحد الاتهام بالتواطؤ،

وليس مجرد التهاون، اذ لم تمر بين رجوع لومومبا من المغرب وتقبله وساما من أكبر الأوسمة من محمد الخامس وبين اغتياله سوى عدة أسابيع، لذلك نزل موته واستشهاده على المغرب نزول الصاعقة، وصلت الى درجة مطالبتنا بفتح التحقيق ومحاكمة المسؤولين، ووقتها بعث الجنرال الكتاني الينا صديقه الحميم الكومندار البشير البوهالي (الذي قتل بالقيادة العامة للقوات المسلحة في ١٠ يوليو ١٩٧١، بعد المقابلة الدرامية مع الشهيد العقيد اعبابو يوم انقلاب الصخيرات) ليعلن للجريدة الحقيقة، وهي أنه كان مجرد منفذ للتعليمات ولديه كافة البرقيات اللاسلكية التي وصلتته من قائد الأركان الحسن، وكان البشير البوهالي اذ ذاك من المسرحين من الجيش لما بينه وبين أوفقي من تنافس، وليس الان موضوع تفصيل هذا النزاع . وكان رأى محمد الخامس كذلك في هذه القضية مخالفا لرأى ابنه . فالاب كان يرى أنه لا بد من فتح بحث في هذه القضية التي لطخت سمعته ثم حالة الملف على العدالة، ولكن الحسن العارف بخبايا وتعقيدات القضية، فضل اغلاق الملف وتطويق القضية كتلك التي رافقت محاكمة عدى أوبيهي، وأن الجنرال الكتاني مجرد أداة استخدمت كسابقاتها .

ونظرا لانعكاسات هذه القضية على الصعيد العربي والافريقي، وقد كانت بحق بداية لانحصار المد الثوري الذي شهدته الخمسينات، فقد دعيت الاقطار التي كانت تقدمية اذ ذاك، الجمهورية العربية المتحدة، المغرب، غانا بقيادة قوامي نكروما وغينيا، لعقد مؤتمر افريقي في الدار البيضاء، وصمم الحسن على الحضور بجانب أبيه محمد الخامس، فإذا بجمال عبد الناصر يشترط عدم حضور الحسن لما يعرفه عنه من ارتباطات مع دوائر مشبوهة، ولما عرفه عنه كذلك من دوره المشبوه بالكونغو، فلم يعد أى مجال للشك أن شروخا بدأت تتعمق بين محمد الخامس وابنه . وكان سببها أن الاول له مفهوم في دعم العرش غير ما يراه الثاني، ولم يعد الامر مجرد همس في كواليس القصر، بل أصبح الخلاف موضوعا لتعليقات شتى . البعض يرى أنه لا يجوز الخلاف، وأن ذلك مجرد عمل تكتيكي جدي يجب أن يبنى عليه كل تقدير في التحليل الاخير، كما أصبحت التكهانات بخصوص مرض محمد الخامس كذلك موضوعا للنقاش . القريبون يرون أن ابنه فقط يريد أن يمرض لأن مرض اللوزتين لا يعد مرضا، واستنصالهما بعملية جراحية غير ضروري، ويؤكدون أن الحسن يلح على العملية ويؤيده طبيب مشبوه، في حين أن طبيب اختصاصي سويسري وكل الاطباء معه، لا يرون ضرورة لذلك، ويخلص المقربون للقول أن مرض الاب الحقيقي مرض معنوي لأنه شعر في النهاية أن ابنه ورطه في مخطط يتنافى ورصيده الوطني، وهو لهذا في حيرة من امره، ولا يقتصر هو'لا' المقربون على تأكيد هذه المعلومات بل يذهبون الى حد أن شعور محمد الخامس بالخطورة أصبح يؤرقه، ولا يكاد النوم يطرق أجفانه، وللخروج من هذه الوضعية يقترحون إعادة الحوار بيننا كاتحاد وطني للقوات الشعبية وبين محمد الخامس بغرض التعاون من أجل تطوير المؤسسات التي من شأنها تأمين وضع الملكية .، وتحديد

صيفة تساهم بها الملكية في حماية نفسها اذا لزم الامر ذلك، ولا يعني هذا استحواد الملكية على السلطة، بل افساح المجال امام ملكية دستورية حقيقية تسلم بسيادة الشعب، والملك مقابل ذلك مستعد للمضي في الخط التحرري الذي رسمته الحكومة التي اقيلت بتأثير من الحسن، والالتزام كذلك بالتعبئة من أجل استكمال تحرير الاراضي التي لا زالت ترزح تحت الاحتلال، وان ذلك يتطلب مساندة الملك في وجه احتمالات ردود فعل من ابنه، والذي حتما لا يمكن أن يوافق على هذه الخطة. وفوتحت شخصيا بهذا الموضوع باسم الحزب، وطلبت من الموفد ان كان على استعداد لعرض المقترح في اطار قيادة الحزب، فوافق فوراً، وامام الاحاح على السرية المطلقة اتفقنا ان نكون من قيادة الحزب ثلاثة اعضاء فقط، ونتولى نحن تبليغ المقترح لكل القيادة، وسارت الامور وفق هذا المقترح.

وعندما اجتمعنا لدراسة الموضوع كان الخلاف تاماً، اذ هناك من يحدد الخطة، وهناك من عارض مفضلاً ترك التناقضات تنضج اكثر، ولكن في النهاية تغلب تحبيد الاقتراح، ورتب لقاء آخر مباشر بالخارج مع محمد الخامس عندما كان موجوداً بسويسرا للقيام بالفحوص الضرورية وللإستجمام في نفس الوقت.

وكان واضحاً أثناء اللقاء ان المرارة تمزقه، واعترف بالخطا الذي ارتكبه في انسياقه لتلك المخططات الخاطئة والتي بسببها ضاقت موريتانيا، ولا أحد يضمن عدم ضياع الصحراء كذلك اذا استمر الوضع على ما هو عليه، وأكد انه سيقوم بتغيير جوهرى يعيد المسيرة الجادة الى الصواب بمجرد شفاؤه من المرض، الذى طمأنه الاطباء على انه لا يشكل خطورة، ولا يستدعي اى عملية اطلاقاً، وبذلك دخلت الاتصالات في مرحلتها النصف رسمية. وعلى غير ما يتوقع أجريت له العملية بالقصر الملكي ومن غير التحضير حتى للعمليات التي تجرى للأفراد العاديين، ومن غير سابق معرفة أحد، وفي يوم الاحد حيث الحياة العامة مثبولة، ومن غير تحضير الدم اللازم، وبشهادة اطباء استدعوا للحضور فقط، وأغلبهم بعد فوات الاوان. وبحسب ذلك، فان اجراء اية عملية في مثل تلك الظروف تلزمها محاكمة القائمين بها. وفي المساء أعلنت الوفاة، واتضح بعد ذلك ان المؤسسات الحكومية كانت محتلة من طرف الجيش طوال اليوم، وان الجنرال الكتاني الذى اصدر محمد الخامس امراً بتجميده وحده، وكذلك مدير الامن محمد أوفقيير ومجموعة قليلة من الضباط هي التي كانت تعرف لماذا هذا الاستنفار، كما سجن الاطباء بالقصر خوفاً من اذاعة خبر الوفاة قبل احضار علماء فاس ومراكش لاعلان بيعتهم مقرونة باعلان الموت، وتكريس شعار "مات الملك عاش الملك"...

وسيبقى سؤال من قرر ضرورة اجراء العملية، ولماذا لم يحضر لها، ان كانت ضرورية، التحضير اللازم؟ ومن حسم في الامر عكس او امر الاختصاصي المختص؟ وستبقى هذه الاسئلة بدون جواب على الاقل في هذه الفترة.

والان، وبعد هذا الذى وقع لتصفية جيش التحرير والسكرت عن الصحراء هذه

المدة التي تناهز ١٤ سنة من الزمن، فماداً حدث لهؤلاء الذين كانوا بالامس مجهضين لخطة التحرير؟ وماداً حدث للذين لا يستحق عندهم تحرير الصحراء العمل على دعم تحريرها بالقدر الذى كانوا مطالبين به؟

هل اكتشاف الفوسفات وحده؟ هل الشعور اخيراً بانقطاع الجسر الذى عبرت منه الحضارة العربية عن طريق المغرب عبر الصحراء للقارة الافريقية؟

هل الصحو من الغفلة بعدما سال لعابهم نظراً لما تكتنزه من ذهب أسود؟ وبعد ان اصطف العالم كله مولياً وجهه قبلة الصحراء برفع اكفه ضارعا لها ان لا تقوض اركان الحضارة العصرية الغربية، وان توزع عليه من فيضها وقوداً يحمي هذه الحضارة وهي ترتاد آفاق القرن الواحد والعشرين؟

المهم ان الصحراء لم تعد فلاة يقتل فيها السراب الظامي، ولا مجرد جسر لعبور الحضارة على ظهور الجمال، بل أصبحت بوتقة لصنع الحضارة. وعلى كل حال فقد صحا النوم أخيراً لهؤلاء جميعاً. هل بعد فوات الاوان؟ وهل ذنب جيش التحرير انه سبق عصره؟ أم ذنب من استيقظ بعد أربعة عشرة سنة، وفي عصر يقاس الزمن فيه بالساعة والثانية.

ومن حقي ان اتساءل هل المسيرة للتحرير ضبطت في الاتجاه السليم؟ وهل يعرف كل أولئك السائرون بالقافلة الى أين هم سائرون؟ وهل "قائد" مسيرتهم يحوز على الثقة؟ وهل كذلك قرر أخيراً ان يسير مع "رفاق" طريقه بثقة متبادلة؟ أم لا يزال يعتبرهم مجرد اتباع يشدون له الحذاء الانيق، وعليهم ان لا يكلفونه بما لا يطيق؟

خـ ل ا ص ة

ان المرحلة الدقيقة التي يجتازها المغرب في الظروف الراهنة، والوضعية الحرجة التي يمر بها الحزب جعلتني ألقي الضوء على التجربة التي خضناها من أجل تحرير الصحراء، ووضع المعطيات في شكل حلقات يرتبط بعضها ببعض لكي تكتمل الصورة عند المناضلين والشباب الذين لم يعاشوا هذه المرحلة، واجتنب اخذ القرارات منفصلة عن جذور التراث النضالي للحزب، وان ذلك يصبح ضرورياً عندما يتراعى مخطط الحكم في استئصال قضية حيوية مثل قضية الصحراء، ويحاول ببراعة الغاء دوره وخيانتته في ضياع السيادة الوطنية، ليس فقط بالنسبة للصحراء وانما بالنسبة لسبته ومليلة والجزر اللاحقة بهما.

ان الغاية الاساسية من معالجة قضية الصحراء بالشكل الذى عشته ومارسته عملياً، وبالشكل الذى اعتقده صحيحاً، هو اظهار الحكم على حقيقته حتى لا نقع مرة اخرى في مخططاته التصوفية التي تخدم مصالحه كممثل لطبقته الاقطاعية، والتي

تستهدف هذه المرة ضرب الحركة الوطنية المغربية ضربة قد تكون قاضية .
أما حقيقة أهداف الحكم من الضجة المفتعلة حول الصحراء، فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - امتصاص نغمة الجماهير الناتجة عن سياسته القمعية الإرهابية، وتذويب سخط الجيش العائد من الشرق العربي، وإبعاده باسم التعبئة للجنوب مع مراقبته بواسطة أجهزة المخابرات تحت إمرة الجنرال الدليمي لاحصاء أنفاسه .
٢ - البحث عن تركيبة جديدة من طرف القوات الوطنية تحت شعار "الوحدة الوطنية حول العرش" .

٣ - الbias الاخفاق في التحرير أو التحريك للقوات الوطنية .
٤ - اشراك القوات الوطنية في تحمل مسؤولية التفريط بالسيادة الوطنية بالنسبة لجزء من التراب الوطني .
٥ - تحميلها كذلك العواقب الاقتصادية التي ستعكس على الاقتصاد المغربي نتيجة لذلك .

٦ - اشراكها في تحمل مسؤولية التنازل عن الجزء المستقل في شكل قواعد عسكرية وغيرها التي وعد بها الحسن الاستعمار الإسباني مقابل مساعدته في صيانة ماء الوجه .

٧ - توريثها في عدم ربط الاجزاء الاخرى، سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، بالصحراء .

٨ - ابرازها كواجهة دبلوماسية لتكون هي المسؤولة على الاخفاق عربيا ودوليا، وتعريضها لكل اللطمات التي قد تنشأ بينه وبين الاصدقاء جميعا، حيث ستمسح كل الاخطاء في الحركة الوطنية، أما الانتصار - ان تم - والذي ينتظر من الاستعمار ان "يمنحه" مقابل التنازلات التي أعلن عنها الحسن، فستكون من نصيبه وحده .

٩ - تعميق خيبة آمال الطامحين الى التغيير، الليبراليين أو المنادين بالتغيير الجذري .

ان مخططات الحكم لترويض الحركة الوطنية باستعمال قضية الصحراء بدأت تنكشف ولم يمض عليها وقت طويل بفضل وعي الشعب المغربي واصراره على متابعة نضاله من أجل التحرير الحقيقي الكامل لجميع اجزاء الوطن المحتل . ومن هنا ارى من واجب قادة الحركة الوطنية الوقوف امام تجاربها التاريخية لاستخلاص العبرة منها قبل فوات الاوان، وقبل ان تجد نفسها عاجزة حتى ان تلعب دور "معارضة صاحب الجلالة" وحتى في هذه الحالة فانها لن توقف بسلوكها مسيرة النضال الشعبية، الا انها ستسهل ولا شك مهمة الحكم لفترة زمنية يحتاج اليها بسبب ضعفه وعزلته وازماته المتعددة التي يتخبط فيها .

وفي النهاية، آمل ان تساهم هذه الخلاصة، كما اردت لها، في توضيح الطريق الذي يبدو وكأنه بدا يأخذ انعطافا تاريخيا بالنسبة للحزب، وان الاشارة بالاسم الى بعض الرفاق لا يقصد منها التشهير وانما كما قلت، محاولة لتجاوز ذاتياتنا جميعا حتى نتمكن من الوصول الى الطرح الموضوعي لقضايانا المستقبلية .

